تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

شرح "ثلاثة الأصول"

شرح الشيخ

سليمان بن سليم الله الرحيلي

حفظه الله تعالى

أشرطة مفرغة

أعد هذه المادة

أبو عمر عبد الصمد بن الحسن

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

أما بعد: فمعاشر الإخوة الكرام نواصل إن شاء الله عز وجل درسنا في شرح الأصول الثلاثة..[1] وهذا الكتاب- الأصول الثلاثة- كتاب عظيم، هذا الكتاب -أيها الإخوة- حوى ما يجب على المسلم أن يتعلمه من توحيد رب العالمين، وبالعلم به العلم الشرعي المقترن بالعمل.

وهذا التوحيد -أيها الإخوة- الذي ذكره الشيخ -رحمه الله عز وجل- في هذا الكتاب من عمِل به تحققت له سعادة الدنيا والآخرة والنجاة عند فتنة القبر، نعوذ بالله من عذاب القبر وفتنته، إذ مدار هذا الكتاب يا إخوة على الأسئلة الثلاثة العظيمة التي يُسألها المرء في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هذه الأسئلة التي هي مدار هذا الكتاب ولن يوفق إلى الحق فيها والجواب النافع إلا من اعتقدها اعتقادا جازما وكان من

[1] انقطاع يسير في التسجيل.

أهلها؛ حيث ثبت –أيها الإخوة– أن العبد منا يفتن في قبره فتنة عظيمة، يفتن في تلكم الحفرة الضيقة التي يدخلها الإنسان وحيدا ولا يكون معه فيها إلا العمل الذي كان قد قدمه، فإن الميت –أيها الإخوة– يتبعه ثلاثة: أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى الثالث، يرجع أهله وماله ويبقى عمله، في تلك الحفرة الضيقة التي علم الصالحون شأنها فقطع أمرها قلوبهم، كان الخليفة الراشد عثمان بن عفان –رضي الله عنه وأرضاه– الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:" **ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**"[1]، يقولها النبي صلى الله عليه وسلم ويبشره بالجنة ومع ذلك فإن ذلكم الصالح كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته – رضي الله عنه وأرضاه– فيقال له: "تذكر الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا ؟" فيقول رضي الله عنه: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**" وقال رضي الله عنه: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه**"[2] ، يقوله

[1] أخرجه أحمد (738و20649)، والترمذي (3701)، والحاكم (4553) وقال : صحيح الإسناد. وحسنه الإمام الألباني –رحمه الله– في "المشكاة" (6064).

[2] أخرجه الإمام أحمد (454) والترمذي(2308) وابن ماجه (4267) والبيهقي (6856) والحاكم (7942) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وحسنه الإمام الألباني في "صحيح الجامع" (5623) و"المشكاة" (132).

النبي صلى الله عليه وسلم"**ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه**". في تلكم الحفرة وذلكم المكان وفي ذلكم الحال يفتن العبد منا في قبره بهذه الأسئلة، فقد جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن العبد المؤمن** –وذكر حديثه إلى أن قال – **فإنه يسمع خفق نعالا أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين**"، وهنا يا إخوة جاء في الحديث أن الميت يسمع خفق نعال أصحابه ، وجاء في حديث آخر أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنزع النعال عند المشي بين القبور[1]، وجمع المحققون بين هذا وهذا بأن النهي إنما هو وارد لمن مشى بين القبور فكان يمشي بين القبور، وأما هذا الحديث فمحمول على المشي في الطرقات المعدة بين القبور، فمن مشى في الطرقات المعدة بين القبور لا يلزمه أن يخلع حذاءه ونعله، أما إذا دخل بين القبور ومشى بين القبور فإنه منهي عن لبس نعله .

يقول صلى الله عليه وسلم:"**فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيقولان**

[1] أخرجه أحمد (20748و20787و20788و21953) و أبو داود(3230) والنسائي (2048) وابن ماجه (1568) والبيهقي (7008) والحاكم (1380و1381)وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي وأقرهما الألباني كما في "الإرواء". و"صحيح الأدب المفرد"برقم (829) .

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

له: من ربك ؟ فيقول ربي الله، فيقولان له:ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان: وما عملك؟ قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول:أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في طاعة الله بطيئا في معصية الله فجزاك الله خيرا" هذا العبد المؤمن الذي قرأ كتاب الله وصدق وآمن واعتقد هذا الإعتقاد العظيم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **وإن العبد الكافر** -وفي رواية: **وإن العبد الفاجر**- إلى قوله- **فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه مدبرين، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه فيجلس فزعا مشغوفا، فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاهٍ هاهٍ لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاهٍ هاهٍ لا أدري، فيقولان له: فما**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم، فلا يهتدي لاسمه -مع أنه كان يعرفه في الدنيا- **فيقال: محمد، فيقول: هاهٍ هاهٍ لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك، فيقال: لا دريت ولا تلوت، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويُضيّق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: وأنت من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئا عن طاعة الله سريعا إلى معصية الله "** إلى آخر قوله صلى الله عليه وسلم، هذا الحديث- أيها الإخوة- العظيم رواه أبو داود والحاكم وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأقرهما الألباني وصححه الإمام ابن القيم ونقل تصحيحه عن جمع من الحفاظ .

لذا -أيها الإخوة- كان متعينا على كل مسلم أن يحرص على ما في هذا الحديث وأن يفهم معانيه وأن يعمل بما جاء فيه.

هذا الكتاب -أيها الإخوة- فيه أهم أمور التوحيد، ولا شك - أيها الإخوة- أن التوحيد أهم ما ينبغي أن يهتم به المسلم وأن يعتني المسلم

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

بتحقيقه، أغلى ما عند المسلم دينه وأغلى دين المسلم توحيد رب العالمين. لا شك أن التوحيد أهم ما ينبغي أن تعتني بتحقيقه أيها المبارك، وأول ما ينبغي أن يدعى إليه هو توحيد رب العالمين، كيف لا وهو أصل رسالة الرسل، وهو الأمر الذي اتفقت عليه شرائع الأنبياء من غير اختلاف بينها ،ودعا إليه الأنبياء جميعا ، يقول الله عز وجل: **{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}**، ما من رسول – أيها الإخوة– ولا نبي بعثه الله –عز وجل– إلا ودعوته لقومه أن يعبدوا الله أن يوحدوا الله وأن يجتنبوا الطاغوت ،فمهمة الأنبياء وهي أشرف المهمات: أمر العباد بتوحيد رب العالمين والتحذير من الشرك؛ فالتوحيد –أيها الإخوة– هو قضية المؤمن الكبرى والقاعدة الأساس عند الموفق، وهو روح الإسلام، ولذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم حياته كلها يدعو إلى توحيد رب العالمين إلى أن مات صلى الله عليه وسلم وورثه من بعده صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وتوحيد الله وإفراد الله بالعبادة هو الأمر الذي خلق من أجله الجن والإنس كما قال الله عز وجل: **{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ }**،

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وقد فسر علماء الأمة قول الله –عز وجل– **{ إلا ليعبدون}** أي: إلا ليوحدون، فيعبدوا الله –عز وجل– موحدين؛ ولذا –أيها المبارك– يجب على المسلم أن يقيم حياته كلها على التوحيد، أن تكون حياته كلها مبنية على توحيد رب العالمين، أن يقيم صلاته على التوحيد، وأن يقيم نسكه على التوحيد، وأن يكون محياه على التوحيد وأن يكون مماته على التوحيد، **{ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}**.

التوحيد –أيها الإخوة– هو عماد الدين وأول الدين وآخره وظاهر الدين وباطنه، قامت عليه الأدلة ونادت عليه الشواهد وأوضحته الآيات وأُسست عليه الملة، وانقسم الناس بسببه إلى شقي وسعيد، وهو الأمر الذي يجب أن يرسخ في القلوب قبل الدخول في الأوامر والنواهي؛ ولذا –يا إخوة– لعظم منزلة التوحيد كان الذي يضاده أعظم الذنوب، فأعظم الذنوب على الإطلاق الشرك بالله سبحانه وتعالى، والشرك هو الذنب الأوحد الذي لا يغفر الله عز وجل لصاحبه إن مات عليه كما قال الله –عز وجل–: **{ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء }** كان ضد التوحيد– أيها الإخوة– الظلم الأعظم وذلك لعظيم

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

منزلة التوحيد كما قال الله –عز وجل– على لسان لقمان: { **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**}، وكانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم كلها دعوة للتوحيد ومحاربة الشرك، فلا انصرف عن ذلك وهو في مكة بين الكفار والمشركين، ما ترك الدعوة إلى التوحيد وهو في حال الضعف وأهل الشرك في حال القوة، ما أخّر التوحيد لمصلحة ولا أخر التوحيد لأمر من الأمور بل كان يدعو إلى التوحيد، ولم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الدعوة للتوحيد تفرق الناس، لم يقل صلى الله عليه وسلم: إنني سأقبل من أهل مكة ما يعدونني به من ملك ونحوه ثم بحسن أخلاقي ينتشر التوحيد، أبى كل شيء إلا أن يدعو لتوحيد رب العالمين وما توانى صلى الله عليه وسلم عن ذلك أبدا ولا كسل عن ذلك أبدا صلى الله عليه وسلم ولا انصرف عنه أيضا وهو في مسالك الهجرة وهو في طريقه إلى المدينة وهو خارج مطارد يطرده العدو حثيثا ومع ذلك ما غفل عن الدعوة إلى التوحيد، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التوحيد في طريقه إلى مدينة الهجرة؛ كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على التوحيد ما ترك الدعوة إلى التوحيد وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب التوحيد بعد فتح مكة، ولم يقل: إن

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

المؤمنين قد وحدوا فلا داعي للدعوة إلى التوحيد بل كان صلى الله عليه وسلم يدعو إلى التوحيد، بقي صلى الله عليه وسلم معليا لراية التوحيد؛ ولذا فإن الواجب على كل داعية بل الواجب على كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتمثل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فلا دعوة نافعة من كل وجه إلا إذا كانت كذلك { **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} هذه سبيل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذه سبيل الدعوة الصحيحة الراشدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ينبغي لطالب العلم –بل ينبغي للمسلم أيها الإخوة– أن يعرف للتوحيد مقامه كما عرف له النبي صلى الله عليه وسلم مقامه، ينبغي على المسلم أن ينزل التوحيد مكانته العلية التي جعلها له رب العالمين سبحانه وتعالى، وأن يدعو إلى الاهتمام بالتوحيد وأن يحبب أمة محمد صلى الله عليه وسلم في التوحيد وأن يرغبهم في التوحيد وأن يحثهم على دراسة التوحيد حتى تكون الأمة على طريقة راشدة وتكون الأمة على أمر عظيم .

ونحن -أيها الإخوة - في شرحنا لهذا الكتاب سنقف وقفات مع مسائل عظيمة من مسائل التوحيد أوردها الشيخ -رحمه الله عز وجل- وجعلها دررا في هذا الكتاب .

فنبدأ مستعينين بربنا متوكلين عليه بقراءة ما ذكره الشيخ -رحمه الله عز وجل-.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه: **"بسم الله الرحمن الرحيم"** .

الشرح:

نعم، قال الشيخ :**"بسم الله الرحمن الرحيم"**؛ ابتدأ شيخ الإسلام -رحمه الله- كتابه بالبسملة، فبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم ونِعم البداية، وفي ذلك اقتداء بكتاب الله -سبحانه وتعالى- فإنه مبدوء بالبسملة بإجماع علماء الأمة؛ كذلك ابتدأ الشيخ -رحمه الله- كتابه مقتديا بالحبيب النبي صلى الله عليه وسلم في كتبه إذ أن كتب النبي صلى الله عليه وسلم كلها مبدوءة بالبسملة ،فالنبي صلى الله عليه وسلم يبتدئ كتبه بالبسملة ؛ يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله عز وجل-: هكذا كان يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ببسم الله الرحمن الرحيم كما جاء في صحيح البخاري في "كتاب التفسير" حيث جاء فيه:**"قال: ثم دعا**

بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ...[1] **بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ...**" فهذا الكتاب بدأه النبي صلى الله عليه وسلم ببسم الله الرحمن الرحيم، بل ذكر الحافظ ابن حجر[2] -يا إخوة- أن كتب النبي صلى الله عليه وسلم جُمعت فوجدت كلها مبدوءة ببسم الله الرحمن الرحيم. وهنا أيها الإخوة **فائدة:** وهي أن المقروء يسن أن يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، المقروء من الكتب ونحوها السنة أن يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، أما المسموع من الخطب والمحاضرات والدروس فالسنة أن تُبدأ بالحمدلة فإن خطب النبي صلى الله عليه وسلم جُمعت فكانت كلها مبدوءة بالحمدلة، ولذلك إذا كان الإنسان يكتب فالسنة أن يبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، أما إذا كان يتكلم ليُسمع ويُسمع كلامه فالسنة في حقه أن يبدأ بالحمد لله رب العالمين، هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن أيها الإخوة المستقِر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب أن تُبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وشيخ الإسلام[3] -وهو المتمسك بسنة

---

[1] انقطاع يسير في التسجيل

[2] "الفتح" (220/8).

[3] يقصد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

النبي صلى الله عليه وسلم- بدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم .كما أن الشيخ -رحمه الله - بدأ كتابه ببسم الله الرحمن الرحيم مستأنسا بالحديث الذي يروى في ذلك وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع"**[1]، هذا الحديث ضعيف ولا يصح إسناده لكن أهل العلم يذكرونه من باب الاستئناس لا من باب الاستدلال فلا يستدلون به ابتداء ولكن يستأنسون به بعد أن دلت الأدلة على أن السنة في الكتب أن يبدأ فيها ببسم الله الرحمن الرحيم، كما أن علماءنا ذكروا أنه يسن في الكتب أن تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم لأنها تُقرأ وقد قال الله -عز وجل-: **{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }** فأمر أن يُقرأ باسمه ،فتُكتب بسم الله الرحمن الرحيم من أجل أن تُقرأ لأن هذه هذه الكتب تقرأ. **فإن قال قائل**: إن شيخ الإسلام -رحمه الله عز وجل- بدأ بالبسملة ولم يذكر الحمدلة، قال: **"بسم الله الرحمن الرحيم، اعلم**..." فلماذا صنع هذا؟ **قلنا**: هذا صنيع مسلوك عند علماء الإسلام، فإن كثيرا من علماء الإسلام يبدأون كتبهم بالبسملة ولا يعقِبونها بالحمدلة كما فعل الإمام البخاري -رحمه الله عز وجل- ذلك،

[1] أخرجه بهذا اللفظ: الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (1210)، ومن طريقه السمعاني في "أدب الإملاء" (ص51). قال الإمام الألباني-رحمه الله-: وهذا سند ضعيف جدا ". انظر بقية كلامه رحمه الله في "الإرواء"(ح 1).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وكما فعل الإمام مالك في "الموطأ" ذلك، وكما فعل الإمام عبد الرزاق ذلك في "مصنفه"، وغير ذلك من الكتب الكبار التي يبتدؤها الأئمة ببسم الله الرحمن الرحيم ولا يعقبونها بالحمدلة. وبهذا نعرف أيها الإخوة أنه لا إنكار على من بدأ كتابه بالبسملة ولم يعقب ذلك بالحمدلة بل هذا صنيع مسلوك معروف عند أئمة الإسلام الكبار، بل إنه يظهر -والله أعلم- أن هذا صنيع النبي صلى الله عليه وسلم في كتبه، فإن كتب النبي صلى الله عليه وسلم لم يوجد فيها إلا البداءة بالبسملة ولم يوجد فيها الحمدلة بعد البسملة، فهذا صنيع لا إشكال فيه.

أما قول المصنف -رحمه الله-: **"بسم الله الرحمن الرحيم"** ونحن نقول هذه الجملة مرارا لكن هل تعقلنا معناها ؟ هل عرفنا ما معنى قولنا "بسم الله الرحمن الرحيم"؟ أم أننا نمرها على ألسنتنا كسائر أحوالنا في الأذكار من غير أن نتبصر المعاني؟ وهذا -في الحقيقة- حال كثير منا اليوم، يذكرون الأذكار بل يقرؤون القرآن ولا يعرفون المعاني؛ بعض أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتدبر في كتاب الله ولا يتدبر في الأذكار وإنما جعلوا القرآن يتلى بمناسبة الجنائز فإذا مات الميت تليت الآيات ويُسمع بدون أن يُتدبر وهذا سبب عظيم من أسباب تأخر هذه الأمة، وإذا

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

أرادت الأمة العزة والعودة إلى المكانة العلية فعليها أن ترجع إلى تدبر كتاب ربها بفهم سلف الأمة، فإنه "لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها" كما قاله إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله.

قول الشيخ -رحمه الله -:"**بسم الله الرحمن الرحيم**"، الباء -كما تعلمون- حرف جر، والمجرور لابد له من متعلَّق يتعلق به ،ومتعلق الجار والمجرور هنا اختلف العلماء في تقديره :

فمن أهل العلم من قدره فعلا مؤخرا مناسبا، يعني قدره فعلا وجعله متأخرا وجعل الفعل مناسبا لكل حال فليس فعلا واحدا وإنما يختلف باختلاف الفعل، فمثلا عندنا هنا بدأ المصنف الكتاب فقال: "**بسم الله الرحمن الرحيم**"، فماذا نقدر؟ نقدر قوله "بسم الله الرحمن الرحيم أكتب الكتاب"، فإذا أراد الإنسان أن يدخل المسجد فقال بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الله فإن المقدَّر: بسم الله أدخل المسجد، وإذا خرج فقال بسم الله فإن المقدر بسم الله أخرج من المسجد، وهكذا في كل حال، وهذا أحسن التقديرات؛ لماذا يقدَّر المحذوف فعلا؟ لأن الأصل في الأعمال الأفعال، وبسم الله تقال عند الشروع في العمل، والأصل في العمل الفعل فهو أولى من أن نقدره اسما. أيضا يقدر مؤخرا، لماذا لا

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يقدر مقدما فيقال: أكتب الكتاب بسم الله ؟ قالوا: لا، الأحسن أن يقدر مؤخرا فلا يكون متقدما، لماذا؟ قالوا لأن التأخير يفيد فائدتين:

الفائدة الأولى: التبرك بالبداءة باسم الله فيكون الأمر مبدوءا ببسم الله.

والفائدة الثانية: إفادة الحصر، لأن العلماء يقولون: تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر فإذا قدم الجار والمجرور أفاد الحصر.

وقدروه مناسبا ولم يقدروه فعلا واحدا دائما لأنه أدل على المراد وأحسن في المعنى. ومن أهل العلم من قدر تقديرات أخرى لكن هذا هو أَولاها.

"**بسم الله**"، "**اسم**": اسم مفرد وهو مضاف، ولفظ الجلالة "**الله**" مضاف إليه، والعلماء يقولون قاعدة: الاسم المفرد إذا أضيف يعم، فعندنا هنا اسم مفرد أضيف إلى لفظ الجلالة فهو يعم جميع الأسماء كأنك قلت: بجميع أسماء الله أبدأ، بجميع أسماء الله أكتب، فهو يعم جميع الأسماء.

"**الله**" اسم من أسماء الله الحسنى وهو عند كثير من العلماء اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإن كان **الراجح** فيما يظهر لي -والله أعلم- أن اسم الله الأعظم ليس محصورا في اسم بل هو موجود في أسماء الله جميعها. وهذا الاسم لا يطلق إلا على الله -سبحانه وتعالى- فلا

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يسمى به إلا الله، لم يسم به قط إلا الله -سبحانه وتعالى-، وهذا الاسم -كما يقول علماؤنا- تتبعه الأسماء ولا يتبع الأسماء، فيقال: الرحمن الرحيم السميع العليم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، فالأسماء تتبعه ولا يتبع الأسماء، وهذا هو الذي ورد في القرآن فإنه دائما يُبدأ باسم الله ثم تتبعه بقية الأسماء.

و"**الله**" هو المألوه، والمألوه هو المعبود المستحق لإفراده بالعبادة كما قال الله -عز وجل- **{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي}**، **{ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ }** ما معنى الله؟ **{ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي}** أي اعبد الله موحدا لله سبحانه وتعالى .

"**بسم الله الرحمن**": "**الرحمن**" اسم من أسماء الله وهو مختص بالله -عز وجل- لا يطلق في الإسلام إلا على الله -سبحانه وتعالى- ولا يسمى به أحد، و"**الرحمن**" معناه المتصف بالرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء وعمت كل حي، فرحمة الله -عز وجل- واسعة تسع كل شيء وتعم كل حي، فهذا معنى الرحمن ؛المتصف بالرحمة الواسعة العظيمة.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

أما "**الرحيم**" "**بسم الله الرحمن الرحيم**"، وأنت هنا ستلحظ ملحظا عجيبا؛ جُمع بين الرحمن والرحيم هنا وكلاهما متعلق بالرحمة ولهذا سر عجيب في المعنى؛ و"**الرحيم**" -أيها الإخوة- اسم لله -عز وجل- ويطلق أيضا على غيره في الإسلام كما قال الله -عز وجل- عن رسوله **{ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}** فوُصف النبي صلى الله عليه وسلم بكونه رحيما، فهذا الوصف يطلق على الله -عز وجل- ويطلق على غيره، ومعنى "**الرحيم**": المتصف بالرحمة الواصلة، فالرحمن: المتصف بالرحمة الواسعة، و الرحيم: المتصف بالرحمة الواصلة، وهذا سر الجمع بين الرحمن والرحيم، فالله -عز وجل - رحيم رحمن وسعت رحمته كل شيء ويوصل رحمته إلى من يشاء، وهذا المتعلِّق بالرحيم: الرحمة الواصلة، ورحمة الله يوصلها الله إلى من يشاء -سبحانه وتعالى- كما قال الله **{ يُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَيَرْحَمُ مَن يَشَاء}** فالله -سبحانه وتعالى- يوصل رحمته إلى من يشاء، ولذلك قال العلماء: الرحمن هو ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع الخلق من المؤمنين وغير المؤمنين، والرحيم هو ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ الواصلة، والله يوصل رحمته لعباده المؤمنين، نعم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

قال -رحمة الله عليه-:" **اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعالم أربع مسائل**".

الشرح:

نعم، قال:"**اعلم**" والعلم هو إدراك الشيء على حقيقته إدراكا لا يتطرقه إليه شك. ومراد الشيخ بتصدير الكلام بهذه الكلمة أمران:

الأمر الأول: أن تعلم أن ما في هذا الكتاب يجب اعتقاده اعتقادا جازما ولا يجوز أن يتطرق إليه الشك .

الأمر الثاني: أن يشعرك بأن المذكور في الكتاب مهم جدا فإن العلماء لا يقدمون كلمة "**اعلم**" إلا عند الأمور العظيمة، فإذا وجدت في كلام أهل العلم "**اعلم**" فانتبه فإن المذكور من الأمور العظيمة التي لا يستغنى عنها ولا يسع المسلم أن يجهلها .

قال:"**اعلم رحمك الله**" انظر إلى هذه الجملة وانظر إلى وقعها في القلب؛ "**اعلم رحمك الله**" دعاء للقارئ والسامع بالرحمة، وهذا الدعاء -يا إخوة- كما يقول العلماء يخاطب القلوب وله أثر عجيب في القلوب، وهذا الدعاء مشعر بالشفقة والرحمة، اعلم -أيها المؤمن- وأنا أكتب إليك أني أكتب هذا الكتاب رحمة بك وشفقة عليك؛ فلا يشعر بالتعالي ولا يشعر بالتعاظم وإنما يشعر بالرحمة والإحسان، وهذا له أثر عظيم في

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

القلوب، وهذا الأسلوب أسلوب عظيم ينبغي أن يتنبه له طلاب العلم؛ وهو أن الداعية ينبغي أن يختار في أسلوبه ما يخاطب القلوب ويكسر الحاجز بينه وبين الناس فيقدم العبارات اللطيفة الدالة على الرحمة، هذا الأسلوب ينبغي أن يستعمله الداعي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من أساليب الأنبياء- عليهم السلام-، وسنتكلم عن هذا الأسلوب يوم غد إن شاء الله عز وجل.

قد وقفنا عند قول الشيخ -رحمه الله عز وجل-: "**اعلم رحمك الله**"، وقلنا إن قول الشيخ -رحمه الله عز وجل- "**رحمك الله**" خطاب مناسب للمقام وهو يخاطب القلوب ويؤثر فيها، وهذا هو المنهج الذي ينبغي أن يتبعه الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى-، فإن الداعي إلى الله -سبحانه وتعالى- قصده أن يوصل الحق إلى الخلق، فيتخذ من الأساليب ما يحقق ذلك بشرط أن يكون مشروعا، فيختار من الأساليب المشروعة ما يناسب المقام والمقال، والداعية إلى الله -سبحانه وتعالى- إنما يدعو الخلق رحمة بهم ونصحا لهم، ولذا فإن من المناسب أن يبين لهم ذلك وهذا هو منهج أهل العلم، وقد أخذه العلماء من منهج الأنبياء -عليهم السلام- ؛ قال تعالى عن نوح -عليه السلام-: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، **{ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}** فبين – عليه السلام– لقومه أن دعوته لهم إنما هي لخوفه عليهم من عذاب يوم عظيم من عذاب يوم القيامة، وبدأ بقوله: **{يا قومِ}** فخاطبهم بهذا الخطاب الذي يدل على أنه منهم وهذا قريب إلى القلوب. وقال هود – عليه السلام:**{ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}** فأنا عندما أبلغكم إنما أنا ناصح وأنا ناصح أمين، والآيات في هذا كثيرة جدا، والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كثيرة جدا. ولا شك أن مخاطبة المدعو بما يثير عاطفته بالأساليب الشرعية والعبارت الشرعية أقرب إلى الإستجابة وأبعد عن النفرة، ولذلك بدأنا إمامنا –رحمه الله عز وجل– كلامه بقوله: **"اعلم رحمك الله"**، فما معنى قولنا **"رحمك الله"**؟ معنى **"رحمك الله"** أي أفاض عليك من رحمته، والدعاء بالرحمة للحي يقول العلماء: إما أن يُفرد وإما أن يُقرن بالمغفرة، إما أن يقال: رحمك الله، وإما أن يقال: رحمك الله وغفر لك، فإن أفرد فله معنى، وإن قرن بالمغفرة فله معنى آخر، فإن أفرد وقيل: رحمك الله فمعناه الاستغفار أي غفر الله لك ذنوبك، هذا إذا أفرد؛ أما إذا قرن فقيل: غفر

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الله لك ورحمك فمعنى هذا: غفر الله لك ما مضى من الذنوب وعصمك وحفظك فيما يأتي من أيامك، فالمغفرة: غفر الله لك أي غفر الله لك ما مضى من الذنوب وسترها، ورحمك أي حفظك فيما يأتي من أيامك وعصمك فيها من السوء.

قال المصنف –رحمه الله– كما قرأ علينا الشيخ ياسين البارحة: **"اعلم رحمك الله أنه يجب علينا"** والضمير هنا ضمير جمع وأورده الشيخ لفائدة مع أن الكلام يصح لو قال: أنه يجب، لكن قال **"يجب علينا"** وبضمير الجمع من أجل أن يدل أن هذا الوجوب على جميع المكلفين ذكرهم وأنثاهم حرهم وعبدهم، فكل مكلف يجب عليه أن يتعلم هذه المسائل، وهذه المسائل أول وأَولى ما يجب من العلم، وهي أَولى ما يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"طلب العلم فريضة على كل مسلم"**[1] و**"كل مسلم"** يشمل الذكر والأنثى والحر والعبد، والمعلوم أن

[1] شطر من حديث رواه ابن ماجه (المقدمة :422) والبيهقي في الشعب(1612-1613) وأبو يعلى في (المسند: 4035-2837). وصحح هذا الشطر الإمام الألباني–رحمه الله– في(صحيح الترغيب والترهيب :رقم 72) و"تخريج مشكلة الفقر" (86) ، و"المشكاة" (218) ، و" الضعيفة" تحت الحديث (416).

"وقد ساق بعض طرقه السيوطي في "الجامع الصغير" انظر: "فيض القدير" للمناوي (268/4)، والسخاوي في "المقاصد الحسنة" (ص 328) ذكر أنّه عن عدد كبير من الصحابة ثمّ قال ومع هذا كلّه قال البيهقي: متنه مشهور وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه كلّها ضعيفة، وسبقه الإمام أحمد فيما حكاه ابن الجوزي في "العلل المتناهية" عنه فقال: إنّه لم يثبت عندنا في هذا الباب شيء وكذا قال إسحاق ابن رهويه إنّه لم يصح، أمّا معناه فصحيح، وقال أبو علي

علماءنا –يا إخوة– يقولون: إن طلب العلم منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، وطلب العلم الذي هو فرض عين[أ/1] طلب ما يصح به الدين، وفرض الكفاية طلب ما يكمل به الدين، فإن العلم نوعان: نوع يصحح به العبد دينه وهذا فرض عين على كل مكلف، ونوع يكمل به العبد دينه وهذا فرض كفاية، وأَولى ما يصحح به الدين هذه المسائل التي يذكرها الشيخ .

النيسابوري الحافظ إنّه لم يصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – إسناده ومثل به ابن الصلاح في "مقدمته" للمشهور الذي ليس بصحيح وتبع في ذلك الحاكم، وقال ابن عبد البر: في "جامع بيان العلم وفضله" (23/1): هذا حديث يروى عن أنس بن مالك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من وجوه كثيرة كلّها معلولة لا حجّة في شيء منها عند أهل العلم بالحديث من جهة الإسناد، ثمّ ساق بسنده إلى إسحاق بن راهويه أنّه قال: "طلب العلم واجب" لم يصح فيه الخبر إلاّ أنّ معناه أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوءه وصلاته وزكاته إن كان له مال وكذا الحجّ وغيره، قال: وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج إليه وما كان منه فضيلة لم يخرج إلى طلبه حتى يستأذن أبويه، قال: ابن عبد البر: يريد إسحاق والله أعلم أنّ الحديث في وجوب طلب العلم في أسانيده مقال لأهل العلم بالنقل ولكن معناه صحيح عندهم، وساق رقم (33) عن ابن المبارك عن قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم" قال: ليس هو الذي يطلبونه، ولكن فريضة على من وقع في شيء من أمر دينه أن يسأل عنه حتى يعلمه، وسنده صحيح إلى ابن المبارك." قاله الشيخ يحي الحجوري حفظه الله في تعليقه على رسالة "بيان ما لم يثبت فيه حديث من الأبواب" للفيروزآبادي رحمه الله.

وقال –حفظه الله– أيضا: والحديث بشواهده صالح للحجية. (أنظر رسالته :"نصيحة للتجار").

قال الشيخ: "**اعلم رحمك الله أنه يجب** " والواجب –كما قال علماؤنا–: ما يثاب فاعله امتثالا ويستحق تاركه قصدا مطلقا العقاب، ومجال شرح هذه العبارة في أصول الفقه، نعم.

بسم الله، الحمد لله والصلاة الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: يقول المصنف –رحمة الله عليه– : **"اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل"**

الشرح:

نعم، المسائل –يا إخوة– جمع مسألة وهي منحوتة من السؤال، كأن هذه المسائل جواب عن سؤال، وهي –والله– جواب عن أعظم الأسئلة، فإنها جواب عن الأسئلة التي سيسأل عنها العبد في قبره كما تقدم معنا في حديث البراء –رضي الله عنه–.

وهذه المسائل الأربع شملت الدين كله، ولذا هي قواعد حقيقة أن يهتم بها المسلم وأن يحفظها وأن يصغي لها، وكيف لا يصغي لها المؤمن ولا ينتبه لمعناها وهي في الدنيا أنفع له من الطعام والشراب، وهي سبب نجاته عند لقاء الله –سبحانه وتعالى–، فحقيق بالمسلم المبارك أن يصغي لهذه المسائل. وإمامنا –رحمه الله رحمة واسعة– جعل هذه المسائل كالمقدمة

للأصول الثلاثة فذكرها بين يدي الأصول الثلاثة كالمقدمة والإجمال لما يأتي في الأصول الثلاثة، نعم.

قال -رحمة الله عليه-: "الأولى: العلم، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه صلى الله عليه وسلم ومعرفة دين الإسلام بالأدلة".

الشرح:

نعم، قال: "**الأولى**": أي المسألة الأولى "**العلم**" فكأن قائلا قال له ما العلم؟ ففسر العلم بأنه "**معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة** "، فهذا هو أعلى العلم وأعظم العلم وأول العلم؛ أن يعرف العبد ربه وأن يعرف نبيه وأن يعرف دينه بالأدلة، **فإن قال لنا قائل**:ما الدليل على هذا التفسير ؟ **قلنا**: إن الشيخ -رحمه الله- أخذ ذلك من حديث البراء -رضي الله عنه- في السؤال في القبر فإن هذا يدل على أن هذا هو أعظم ما ينبغي أن يتعلمه المسلم، ولا يكفي العلم المجرد-أيها الإخوة- بل لا بد من العلم مع الاعتقاد والعمل، لا يكفي أن يعلم العبد الله وأن يعرف الله وأن يعرف النبي محمدا صلى الله عليه وسلم وأن يعرف دين الإسلام بدون اعتقاد بل لا بد من الاعتقاد ولا بد من العمل فإن المنافقين عرفوا الله وعرفوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعرفوا دين الإسلام

وقالوه بألسنتهم لكنهم لم يعتقدوه بقلوبهم فلم ينفعهم، وقد سمعنا في حديث البراء بن عازب -أيها الإخوة- أن الرجل الفاجر عند السؤال يقول: "**هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك فقلته**"، فهو كان يقول ولكن ليس عن اعتقاد وإنما كان ذلك محاكاة للناس، ولذا قال المصنف -رحمه الله-: " **العلم وهو معرفة الله** "؛ معرفة الله -يا إخوة- تكون بالقلب بأن يعلم المسلم بقلبه معتقدا اعتقادا جازما لا شك فيه أن الله -عز وجل- ربه، وهذه المعرفة تستلزم القبول بشرعه -سبحانه وتعالى- والإذعان والإنقياد والتسليم والتحكيم، فواجب على المسلم أن يعرف ربه، أن يعرف ربه بأفعاله فيعرف أن ربه الذي خلقه ورزقه ورباه بنعمه وخلق جميع المخلوقات وهذا ما يعرف عند علمائنا بتوحيد الربوبية الذي هو توحيد الله بأفعاله -سبحانه وتعالى-. ويعرف ربه -عز وجل- بألوهيته وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي صالح ولا بشر معظم ولا جن ولا صنم ولا غير ذلك، فلا معبود بحق إلا الله -سبحانه وتعالى-، يجب أن يعلم المسلم بهذا؛ يقول الله -عز وجل-: { **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**} وسيأتي هذا إن شاء الله. ويعرف ربه أيضا بأسمائه وصفاته، فيعرف أسماء الله ويعرف

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

صفات الله التي ثبتت في الكتاب والسنة، يعرفها ويثبتها ويؤمن بها كما سيأتي إن شاء الله؛ وهذه المعرفة -أيها الإخوة- يجب أن تكون عن الأدلة فلا ينفع فيها التقليد المحض بدون اعتقاد ولا ينفع فيها اتباع كلام الناس بدون اعتقاد ولذلك قال إمامنا -رحمه الله-:" **هو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة**" قوله رحمه الله: "**بالأدلة**" يرجع إلى الثلاث المعارف: إلى معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام، فيجب أن تكون معرفتك لله بالأدلة لا بالتقليد المحض الذي لا ينتج اعتقادا، وهنا -يا طلاب العلم يا معاشر المؤمنين- مسألتان يجب فقههما حتى لا تزل القدم في هذا الباب:

المسألة الأولى: هي مسألة وجوب أن يتعلم المكلف هذه الأمور بالأدلة وعدم جواز التقليد فيها، وهذه المسألة -يا إخوة- عند علمائنا تعرف بمسألة الطريق.

والمسألة الثانية: مسألة حكم من قلد في هذه الأمور هل يصح اعتقاده أو لا يصح؟ وهذه تعرف عند علمائنا بمسألة الغاية، فالإعتقاد له طريق والإعتقاد هو الغاية، ومن شراح الأصول الثلاثة من قال: إن قول الشيخ هنا: "**بالأدلة**" وافق فيه المعتزلة؛ وهذا سوء فهم، ومنهم من قال: إن هذه

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الأمور يجوز أخذها بالتقليد؛ وهذا سوء علم، وهذان السببان -أيها الإخوة- أهم أسباب الإنحراف عن الحق: سوء الفهم وسوء العلم، فإذا أضفت لهما الثالث اجتمعت الأسباب ألا وهو سوء القصد، فمن ساء قصده انحرف عن الحق، ومن ساء فهمه انحرف عن الحق سواء ساء فهمه في فهم الأدلة الشرعية كما وقع للخوارج الذين نزلوا الآيات التي في الكفار على المؤمنين؛ أو ساء فهمه في فهم القواعد الشرعية كما وقع للمكفرة في سوء فهمهم لقاعدة أن من لم يكفر الكافر فهو كافر؛ أو ساء فهمه لكلام أهل العلم فإنه ينحرف عن الحق؛ أو ساء علمه سواء كان جاهلا فتكلم في المسائل بجهل، أو كان عالما علما لا ينفع فكان جاهلا وهو يظن أنه عالم كبعض المتزعمة في هذا العصر يؤلفون الكتب وينتجون الأشرطة وإذا نظرت في كلامهم وجدته جهلا وهم يظنون أنهم أئمة، وهذا هو الجهل المركب عند أهل العلم، ومن ساء علمه انحرف عن الحق؛ فإذن على طالب العلم، على طالب الحق، على المسلم أن يُحكم هذه الأمور الثلاثة فيراقب القصد فيكون قصده حسنا، يكون قصده الحق، وينظر في الفهم فيكون فهمه حسنا، ومتى يكون حسنا؟ إذا كان على فهم السلف، فهذا هو الفهم الحسن للدين الذي جاء به محمد

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وينظر أيضا في علمه هل هو علم حسن أو سيء، فيحرص على أن يكون حسنا.

أعود للمسألتين:

المسألة الأولى -أيها الإخوة- وهي: هل يجوز للمسلم أن يأخذ هذه الأمور بالتقليد؟

فأقول: الذي عليه جمهور العلماء وجمهور أهل الحديث أنه لا يجوز تعلم المسائل الكبار بطريق التقليد بل تعلمها بالأدلة فرض عين، فيجب على كل مسلم أن يطلب علمها بالأدلة.

وأما **المسألة الثانية** وهي: ما الحكم لو أن مسلما قلد في هذه الأمور ولم يتعلم ؟ أخذ ذلك عن العلماء بالتقليد أو أخذ ذلك عن أهله بالتقليد ولم يتعلم. **نقول**: التقليد هنا -كما ذكر العلماء- له حالتان:

الحالة الأولى: أن لا يُنتج اعتقادا ولكن الإنسان يردد ما يردده الناس من غير اعتقاد، وهذا لا ينفع كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

والحالة الثانية: أن يُنتج اعتقادا فيعتقد ذلك اعتقادا جازما، وهذا عند أهل السنة والجماعة يصح اعتقاده وهو مسلم خلافا للمعتزلة، المعتزلة

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يقولون لا يصح اعتقاده إلا إذا كان عن طريق الأدلة العقلية، أما أهل السنة والجماعة فيقولون: من اعتقد اعتقادا صحيحا جازما صح اعتقاده ولو كان ذلك بطريق التقليد. إذن -يا إخوة -هما مسألتان لا نخلط بينهما، مسألة التعلم شيء ومسألة الاعتقاد شيء آخر، ولذلك الإمام السفّاريني في منظومته ذكر المسألتين فقال:

وكل ما يطلب فيه الجزمُ فمنع تقليد بذاك حتمُ

يعني لا يجوز أن يُطلب بالتقليد، ثم قال في المسألة الثانية:

فالجازمون من عوام البشرْ فمسلمون عند أهل الأثرْ

يعني: العوام الذين أخذوا ذلك بالتقليد وجزموا فهم مسلمون عند أهل السنة والجماعة، يجب أن نعلم هذا حتى لا نخطئ في فهم المسائل.

شيخ الإسلام عمّ يتكلم الآن؟ يتكلم عن العلم، عن التعلم، إذن هو يتكلم عن المسألة الأولى ولم يتكلم عن مسألة الاعتقاد، فيجب على كل مسلم أن يعرف ربه بالأدلة فإن لم يفعل ذلك أثم، فإن اعتقد بالتقليد وصح اعتقاده فهو مسلم عند أهل السنة والجماعة.

والأدلة الدالة على معرفة الله -عز وجل- هي الآيات الشرعية والآيات الكونية، فالآيات الشرعية تدل على الله عز وجل، فكل ما في كتاب الله

وكل ما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعرّفنا بربنا وهذا لا شك فيه، كذلك النظر في الآيات الكونية وفي المخلوقات يدل المسلم على ربه، ولذلك ماذا يقول الله عز وجل؟ يقول: **{وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ}** ويقول الله عز وجل: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ . الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}** فمدح الله المؤمنين بماذا؟ مدحهم بتفكرهم في آياته الكونية، لأن هذه الآيات الكونية تعرف العبد بربه -سبحانه وتعالى- ولذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتفكر في خلق الله فقال صلى الله عليه وسلم :" **تفكروا في خلق الله** "[1] والحديث ذكره الشيخ الألباني -رحمه الله- وبين أنه حسن. إذن -أيها الإخوة- يجب على المسلم أن يعرف ربه بالأدلة، ما الأدلة؟ هي الأدلة الشرعية والأدلة الكونية. نعم.

قال -رحمة الله عليه- :" الثانية:العمل به"

[1] أخرجه أبو نعيم في "الحلية" : (6/ 66-67) عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه. وأبو الشيخ في العظمة برقم (4) عن أبي ذر رضي الله عنه. وحسنه العلامة الألباني –رحمه الله- في صحيح الجامع برقم (2976).

الشرح:[1]

هذه المرتبة الثانية من مراتب العلم وهي معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، **"معرفة الله ومعرفة نبيه"**،ومعرفة النبي تكون بعد معرفة الله -عز وجل-، أن يعرف العبد رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنه رسول حقا وصدقا وأن الله أرسله بالهدى ودين الحق، أرسله للعالمين للجن والإنس لا يستثنى من ذلك أحد، لا يخرج أحد عن الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، محمد صلى الله عليه وسلم أرسله الله للعالمين ،قال تعالى:**{ وما أرسلنا إلا رحمة للعالمين}**، ورسولنا صلى الله عليه وسلم لا يُعرف الدين إلا من طريقه فهو الواسطة بيننا وبين الله -سبحانه وتعالى- في تبليغ رسالة الله، ولن يعرف أحد دين الله حتى يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبي ورسول، والنبي -باختصار الآن وسيأتي إن شاء الله- كما قال أهل العلم: هو الذي أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو الذي أوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم مر بالمرحلتين فقد أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فنُبِّئ بـ {اقرأ} إلا أنه لم يؤمر بالتبليغ

[1] الشيخ -حفظه الله- هنا بدأ بشرح قوله :" ومعرفة نبيه" .

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فكان نبيا ثم أُرسل بقول الله -عز وجل- **{ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}**، وهذا سيأتي إن شاء الله ولكن نذكره الآن بالاختصار للمناسبة، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم تكون بمعرفة اسمه ونسبه وتكون أيضا بمعرفة سيرته وتكون أيضا بمعرفة سنته وتكون أيضا بمعرفة وصفه وهو كونه عبدا لله ورسولا، فهو بشري عبد لله مكرّم بالوحي والرسالة صلى الله عليه وسلم، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ليست علما يُقرأ ويكرر ويُحفظ وإنما معرفة تؤثر في الأعمال، معرفة تُعتقد وتؤثر في عمل الإنسان، فإذا عرف العبد نبيه صلى الله عليه وسلم فإن ذلك يستلزم أن يقبل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى وأن يصدقه في كل خبر أخبر عنه، والمؤمن- أيها الإخوة- إذا نُقل إليه خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بطريق صحيح وجب عليه أن يصدقه فيه وألا يرد خبر النبي صلى الله عليه وسلم بعقله كما يفعله بعض المخذولين، كما أن هذه المعرفة تستلزم امتثال الأمر واجتناب النهي. والمؤمن-أيها الإخوة- العارف بمحمد صلى الله عليه وسلم إذا جاءه الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم فرح به وامتثله وقلبه منشرح وصدره منشرح لأنه جاء عن نبيه صلى الله عليه وسلم، وإذا جاءه النهي ترك ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقلبه

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وصدره منشرح، والعلماء يقولون: **ميزان المعرفة أثرها في الأعمال**؛ إذا أردت أن تزن مقدار معرفتك بمحمد صلى الله عليه وسلم فانظر أثر ذلك في أعمالك فإن الأثر في الأعمال هو الذي توزن به هذه المعرفة، وسيأتي إن شاء الله تفصيل ذلك عند تفصيل الأصول.

قال الشيخ:**"ومعرفة دين الإسلام"** هذه المرتبة الثالثة: معرفة دين الإسلام، ومن المعلوم -يا إخوة- كما قلنا- أن معرفة دين الإسلام لا تكون إلا بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كانت معرفة دين الإسلام بعد معرفة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا ترتيب مقصود، معرفة ربك ثم معرفة نبيك ثم معرفة دينك ،فهذا الترتيب من الشيخ مقصود؛ والإسلام يجب على العبد أن يعرفه، وسيأتي الكلام إن شاء الله على معنى الإسلام، لكن المراد بالإسلام هنا هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وفهمه سلف الأمة، وسأتكلم عن هذا إن شاء الله عند التفصيل وأشرح هذه الجملة.

قال الشيخ: **"بالأدلة"**، وهذه الكلمة -كما قلنا أيها الإخوة- ترجع إلى الأمور الثلاثة.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

والأدلة: جمع دليل، والدليل عند أهل العلم هو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة هنا -أيها الإخوة- ليست محصورة في الأدلة السمعية بل تشمل الأدلة السمعية والأدلة الكونية فكلها أدلة تدخل في قول الشيخ: **"بالأدلة"**.

قال الشيخ -رحمه الله-: **"الثانية العمل به"** أي أن المسألة الثانية التي يجب تعلمها: **" العمل به"**، وهذه المرتبة الثانية بعد العلم، فالأول العلم والثاني العمل بهذا العلم، ولذا -يا إخوة- كان السؤال في القبر عن العلم: من ربك؟ من نبيك؟ما دينك؟ بهذا المعنى، فالأول العلم، وكان السؤال عند لقاء الله -عز وجل- عن العمل، فيُسأل الإنسان عند لقاء الله -عز وجل- عن عمله بالعلم، الإنسان في قبره يُسأل عن علمه بهذه الأمور، عند لقاء الله لن تزول قدمه حتى يسأله الله -عز وجل- عن علمه ماذا عمل فيه، فيكون السؤال عند لقاء الله -عز وجل- عن العمل بالعلم؛ والعلم يتبعه العمل، ومن فرط في أحدهما قاده ذلك إلى الخسران، من كان علمه بلا عمل -والعياذ بالله- خسر وأقام الحجج على نفسه، الذي يبتلى -والعياذ بالله- بتتبع العلوم ولا يعمل بهذا العلم فإنه يخسر

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ويقيم الحجج على نفسه، ومن كان عمله بلا علم كان علمه[1] بلا فائدة، ففائدة العلم العملُ، ومن كان عمله بلا علم قاده ذلك إلى الضلال، وغالب الحال أن يقوده ذلك إلى البدع، إذا عمل الإنسان بلا علم فإن الغالب أن يسقط في البدع لأنه لا يعرف، ولذا -يا إخوة- كان الصراط المستقيم طريق الأنبياء -عليهم السلام- وهو الجمع بين العلم والعمل، وقد انقسمت الأمم -أيها الإخوة- في هذا الأمر إلى طرفين ووسط: فطرف علموا ولم يعملوا فكان ماذا؟ غضب الله عليهم، وهؤلاء هم اليهود، فاليهود كان لديهم علم لكنهم لم يعملوا سواء كان ذلك بالإعراض الكلي أو كان ذلك بالتحريف، فاليهود جمعوا بين الأمرين:أعرضوا عن بعض ما جاءهم فقتلوا الأنبياء، قتلوا بعض الأنبياء الذين جاءوهم بالحق فحرفوا التوراة وغيروها وغيروا معانيها كما هو معلوم من حالهم؛ إذن -يا إخوة- طرف علموا ولم يعلموا وهم اليهود فكان نصيبهم الغضب، والطرف الثاني هم الذين عملوا بلا علم، عملوا نعم، ولكن بلا علم، فكانوا ضالين لأنهم ما عرفوا طريق الخير، وكم من مريد للخير لم يدركه، من طلب الخير بلا علم يقوده ذلك إلى الضلال في

[1] كذا قال شيخنا حفظه الله، ولعل الصواب: "..كان عمله بلا فائدة ". والله تعالى أعلم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الغالب لأن الخير لا يعرف إلا عن طريق الأنبياء، والخير في هذه الأمة لا يعرف إلا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يُعرف إلا بالعلم؛ بأن يتعلم الإنسان ويعرف ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهؤلاء هم النصارى -أعني الذين عملوا ولم يعلموا- فإنهم كانوا يعملون كثيرا فهم عاملون ناصبون مجتهدون في العمل، وهم بكاءون ترق قلوبهم، وقلوبهم خاشعة لكن بغير علم، فكانوا من الضالين، ومن ذلك أنهم ابتدعوا الرهبانية وجاءوا بها وجاءوا بأمور كثيرة، ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم -والله المستعان- من يتشبه بهؤلاء أو يتشبه بهؤلاء، فمن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يعلم ولا يعمل وفي هذا شبه من اليهود، ومن أمة محمد صلى الله عليه وسلم من يعمل لكن على جهل بغير علم ولا بصيرة وبهذا شبه من النصارى. أما الوسط فهو صراط الله المستقيم وهو طريق الأنبياء وطريق أتباعهم الذين يسيرون على طريقهم ألا وهو الجمع بين العلم والعمل، وهو الصراط الذي أمرنا أن نسأل الله -عز وجل- إياه مرات كثيرة، الذي جاء في قول الله -عز وجل- **{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}** والذين أنعم الله

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

عليهم هم الأنبياء ومن تبعوا الأنبياء **{صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين}** وهذا تعليم من الله -عز وجل- لنا.

وقد كان السلف الصالح -رضوان الله عليهم- يا إخوة- يحرصون على العلم والعمل، ما كانوا مثلنا يحرصون على تسويد الأوراق ولا يحرصون على العمل..لا، بل كانوا يحرصون على العلم والعمل، يقول أبو عبد الرحمن السلمي: **"حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا:فتعلمنا القرآن والعمل جميعا"** [1] ،فكانوا إذا قرأوا عشر آيات تدبروا معانيها وعملوا بما فيها فكانوا أزكياء، كانوا أتقياء، وهذا هو الطريق الصحيح؛ والعبد إذا علم أنه سيُسأل بين يدي الله -عز وجل- عن علمه ماذا عمل فيه فلا بد أن يراقب نفسه ولا بد أن يحاسب نفسه، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:**"لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه..."** [2] **وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما**

[1] رواه الطبري في تفسيره (1/ 80) من طريق جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي.

[2] انقطاع يسير في التسجيل.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

أبلاه " رواه الترمذي[1] وإسناده صحيح؛ إذن لا بد من العمل، والعلم النافع هو الذي يكون معه العمل، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" **اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع**" رواه مسلم في (الصحيح)[2]، يستعيذ بالله من علم لا ينفع، والعلم الذي لا ينفع هو الذي لا يعمل به صاحبه. فعلينا -أيها الإخوة- أن نتنبه لهذا، وقد جاء وعيد شديد ينبغي أن لا يغيب عنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون** " وهذا الحديث في الصحيحين[3] ، "**خطباء أمتك الذين يقولون**" يعني

[1] برقم (2417) من حديث أبي برزة الأسلمي وقال: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أيضا الدارمي في (السنن :المقدمة برقم 537). وأبو يعلى في المسند (7434). وصححه الإمام الألباني -رحمه الله- في "صحيح الجامع" (7300)، و"صحيح الترغيب والترهيب"(126).

[2] برقم (2722) من حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه.

[3] كذا قال شيخنا -حفظه الله-، والحديث ليس في الصحيحين.بل أخرجه -من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه-: أحمد في " المسند" (12235،12887،13454،13549) والبيهقي في "الشعب" (4965،4966،4967) وابن حبان (53)، والبزار في "المسند" (7231) والطبراني في "الأوسط" (8457)، وأبو نعيم في "الحلية" (2/386-387 و 8/43-44) والطيالسي في "مسنده" (2060) ووكيع في "الزهد" (297) ومن طريقه ابن أبي شيبة (14/308) وأبو يعلى (4160،4069،3996) .وابن المبارك في "الزهد" (819) ، وعبد بن حميد في "المسند" (1222)، وغيرهم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

تعلموا وعلّموا أيضا ولهم خطب، لكن -عياذا بالله من هذا الحال- لا يعملون، فيأمرون الناس بالخير ولا يفعلون ذلك الخير، وينهون الناس عن المنكر ويقعون في ذلك المنكر -والعياذ بالله-، "**خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون**" زاد البيهقي[1] بإسناد صحيح "**ويقرؤون القرآن ولا يعملون به** " يقرؤون يحفظون يتلون ولكن لا يعملون بهذا العلم، إذن العلم النافع هو الذي يكون معه العمل، لكن هل العمل بالعلم له حكم واحد؟ **الجواب**:لا، فحكم العمل يتبع حكم العلم،فإذا كان العلم الذي تعلمه الإنسان فرضا فالعمل به فرض ،تعلم المسلم فقول النبي صلى الله

قال الإمام الألباني-رحمه الله- بعد أن ذكر طرقه في "السلسلة الصحيحة"(1/522رقم الحديث:291): " وجملة القول: أن الحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، و الحمد لله رب العالمين".اهـ. وصححه أيضا العلامة الوادعي –رحمه الله- في" نشر الصحيفة".

تنبيه: هذا الحديث عزاه الحافظ المنذري (581-656هـ) في "الترغيب والترهيب"(1/161) إلى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

قال الإمام الألباني -رحمه الله-معلقا عليه: " ..وهذا وهم فاحش، سببه -فيما أرى- اعتماد المؤلف رحمه الله على حفظه، وإملاؤه أحاديث الكتاب من ذاكرته، دون أن يرجع في ذلك إلى أصوله، فإن هذا الحديث الذي جعله من حديث أسامة بن زيد هنا وهناك، ليس من حديثه مطلقا، لا في "الصحيحين" ولا في غيرهما، وإنما هو حديث آخر، لا صلة له بالأول [يعني حديث أسامة في الرجل الذي يلقى في النار فتندلق أقتابه] يرويه أنس ابن مالك رضي الله عنه..." إلى آخر كلامه رحمه الله. فجزاه الله خيرا على هذا التنبيه.

قال -مفرغه- عفا الله عنه: وقد سبق المنذريَّ إلى هذا الوهم ابن الأثيرِ (544-606هـ) كما في "جامع الأصول" فإنه عزاه أيضا إلى الصحيحين من حديث أسامة رضي الله عنه.

[1] تقدم.

عليه وسلم "**أعفوا اللحى**"[1] "**أرخوا اللحى**"[2] "**وفروا اللحى**"[3] ،أمرٌ للوجوب،إذن هذا العلم فرض، واجب على من علم ذلك أن يعفي لحيته، فيجب العمل بهذا العلم وإن لم يفعل أثم، أما إذا كان الذي في العلم مستحبا فالعمل به مستحب،كما لو تعلم الإنسان -مثلا- نوافل الصيام،نوافل الصلاة، العمل بهذه النوافل في حقه مستحب وليس فرضا لأنها مستحبات والعمل بالمباحات مباح،إذا علم الإنسان أن شيئا مباح فحكم العمل به أنه مباح ،إذن لو سألنا سائل ونحن قد تكلمنا عن أهمية العمل مع العلم وأن الإنسان سيسأل في قبره عن علمه، وعند لقاء ربه عما عمل بعلمه، لو سُئلنا ما حكم العمل بالعلم؟ قلنا فيه التفصيل الذي ذكرناه، فإن علم الإنسان فرضا فالعمل في حقه فرض، الفرض -يا إخوة- قد يكون بفعل الواجب وقد يكون بترك المحرم، وإن كان العلم الذي تعلمه مستحبا فيستحب أن يعمل به، والمستحب يكون بفعل المندوب وترك المكروه، لأن ترك المكروه فيه مقام ودرجة الإستحباب، وإن

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري(5892-5893). ومسلم (259) ؛من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[2] أخرجه مسلم (260) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[3] متفق عليه:أخرجه البخاري (5892-5893) واللفظ له، ومسلم (259)؛ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

علم بمباح فالعمل بالمباح مباح، وهكذا يكون الحكم في تفصيل حكم العمل بالعلم، نعم.

قال -رحمة الله عليه- :" الثالثة الدعوة إليه" .

الشرح:

المسألة "**الثالثة: الدعوة إليه**"، أي الدعوة إلى العلم، وهذه المسألة سنفصل فيها إن شاء الله في درس الغد مع الصبر لأنها مرتبطة بالصبر ارتباطا وثيقا، لكن نشير إليها إشارة الآن لنربطها بما سبق ونفصلها غدا إن شاء الله لنربطها بما سيأتي.

من العمل بالعلم -يا إخوة- الدعوة إليه، من أعظم أنواع العمل بالعلم أن تدعو إليه، فهذه درجة عظيمة من درجات العمل بالعلم، فإذا علم المسلم الخير دعا إلى الذي علمه بعد أن يكون قد عمل به لأن في ذلك السلامة؛ المسلم يجب أن يتعلم هذه المسائل ويجب أن يعمل بها ويجب أن يدعو إليها على التفصيل الذي سيأتي إن شاء الله، فإذا لم يتعلم أثم، وإذا تعلم ولم يعمل أثم، وإذا تعلم وعمل في نفسه ولم يدع في ما يجب عليه أثم، وإذا تعلم ودعا ولم يعمل إن كان ذلك في الفرائض أثم، ولذلك جاء في الحديث[1] :"**أول الناس يقضى يوم القيامة ثلاثة** -وذكر منهم-

[1] أخرجه مسلم (1905) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ورجل تعلم العلم وعلمه [ب/1] **وقرأ القرآن** " انتبهوا، **"رجل تعلم العلم وعلمه"** دعا إليه، تعلم ودعا، علّم، قال:**"فأُتي به فعرّفه نعمه"** يعني أتي به إلى الله فعرّفه الله -عز وجل- نعمه عليه، قال:" **فعرفها، قال فما صنعت فيها، قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن"** فيقول لله :**"تعلمت العلم**-وقد جاء في رواية: **فيك- وعلمته** -أيضا- **وقرأت فيك القرآن، فيقال: كذبت وإنما تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار** "، إذن هذا تعلم وعلّم، تعلم ودعا لكن لم يعمل لأنه لم يقصد بذلك وجه الله، وترك العمل بالكلية -يا إخوة- دليل سوء القصد، وضعف العمل بالكلية دليل ضعف القصد، ترك العمل بالكلية أن الإنسان -والعياذ بالله- يعلّم ولا يعمل، يدعو ولا يعمل دليل سوء القصد، وضعف العمل -يعني ليس تركا بالكلية لكنه ضعف- دليل ضعف القصد، النية فيها شيء، تحتاج إلى مراجعة، تحتاج إلى معالجة حتى يستقيم الأمر .

إذن لا بد من الأمور الثلاثة:العلم والعمل والدعوة، هذه أركان عظيمة، وسيأتي -إن شاء الله- بيان ذلك في الدرس القادم حيث سنربط الدعوة

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

إلى الله بالصبر على ذلك إن شاء الله عز وجل، فأسأل الله -عز وجل- أن يفقهني وإياكم في دينه وأن يرزقنا حسن القصد وأن يكفينا شرور أنفسنا وأن يعيذنا من الشياطين.

بسم الله ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: يقول المصنف -رحمة الله عليه-:" **الثالثة: الدعوة إليه".**

الشرح:

نعم، هذه المسألة -يا إخوة- ختمنا بها مجلسنا البارحة وقلنا إن هذه المسألة مرتبطة بالمسائل السابقة وبالمسألة الرابعة، هي مرتبطة بالمسائل السابقة من جهة أن الدعوة لا بد فيها من العلم فلا يجوز للإنسان أن يدعو إلى الله بجهل، لا بد أن يكون بعلم، ولا بد مع ذلك من العمل لاسيما -يا إخوة- فيما يتعلق بالواجبات وترك المحرمات؛ من مصائب الدهر على الإنسان أن يدعو إلى فعل الواجب ولا يفعله وأن يدعو إلى ترك المحرم ويقع فيه، هذه من المصائب العظيمة، وقد ذكرنا البارحة خطر هذا الأمر؛ كذلك من المصائب أن يدعو الإنسان بلا علم فيقوم ويكون داعيا إلى الله وهو جاهل، يخرج من الخمارات إلى منابر المساجد، لا يعلم

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

شيئا ويقال له قم ويفتح الله عليك، تكلّمْ، ويدعو إلى الله -بزعمهم- بجهل، وهذا في حد ذاته معصية يحتاج أن يتوب منه العبد، فإنه لا يجوز لأحد أن يقول على الله إلا بعلم، والله -عز وجل- يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم:**{ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** هذه طرق الدعوة الشرعية:أن يدعو الإنسان إلى سبيل الله، لا يدع إلى نفسه، لا ينظر للشرع والدعوة بأعين الناس وإنما ينظر إلى الناس بالشرع، فهو يقول للناس الحق ولا يغير الحق من أجل الناس، وضابط الذي يدعو إلى الله أنه ينظر إلى ما يرضي الله فيدعو الناس إليه، فإذا جاء ووجد الناس على شرك دعاهم إلى التوحيد لأنه يعلم أن ذلك واجب عليه وأن ذلك هو الذي يرضي الله وإن كان الناس سينفرون من مجلسه، وإن كان لن تكون له جماهيرية؛ أما الذي يدعو إلى نفسه فهو ينظر إلى ما يرضي الناس، يقيس ما يتكلم بأحوال الناس، فإن كان الناس يرضون عن أمر تكلم فيه ولو كان فيه زلل، وإذا كان الناس يغضبهم أمر تركه ولو كان هو المتعين **{ادع إلى سبيل ربك}** هذا أول قيد في الدعوة، لا بد أن يراقب الداعية قلبه بأن تكون دعوته

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

إلى الله ليس لنفسه، يدعو لله -سبحانه وتعالى- وإلى الله -سبحانه وتعالى-.

{بالحكمة} فلا بد في الدعوة من الحكمة، وما هي الحكمة؟ الحكمة- يا إخوة- هي البصيرة، والبصيرة تبنى على العلم، فلا يؤتى الإنسان الحكمة وهو لا علم عنده -أعني الحكمة الشرعية المطلوبة - فالحكمة هي البصيرة المبنية على العلم.

{والموعظة الحسنة} هي خطاب الناس بما يلائمهم لا بما يرضيهم وإنما بما يلائمهم ويصلحهم، فبعض الناس يصلحه الوعد فيدعى بالوعد، وبعض الناس يصلحه الوعيد فيدعى بالوعيد، وبعض الناس يصلحه -وهذا الغالب- أن يُقرَن بين هذا وهذا فيقرن له بين هذا وهذا، من الناس من يلائمه ويصلحه الرفق فيُرفَق به، ومن الناس من يصلحه ويلائمه الإغلاظ عليه فيغلظ عليه وفي ذلك رفق فإنك عندما تسعى لإصلاح إنسان ببذل الأسباب فهذا غاية الرفق به ولو أغلظت عليه في الظاهر، وكما يقول بعض أهل العلم:الرفق سهل والإغلاظ صعب، لأن الإغلاظ قد يخالف طبيعة الإنسان وقد يقابله ما يقابله، لكن إذا اقتضته المصلحة الشرعية فإن الداعي إلى الله يسلكه؛ إذن الداعي إلى الله -يا إخوة-

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يعلم أن الناس يتفاوتون في أفهامهم، ويعلم ما جاء به الشرع فيدعو الناس بما يلائمهم ويصلحهم؛ والموعظة الحسنة هي التي تقع في موقعها وتُنزّل منزلتها ولا يُحمل الناس على طريق واحدة.

{وجادلهم بالتي هي أحسن} لا بد أن نبدأ في الدعوة إلى الله بالمجادلة بالتي هي أحسن، وما هي المجادلة بالتي هي أحسن؟ هي المجادلة بالكتاب والسنة على فهم صحيح سليم مستقيم.فهذه الدعوة وهذا ارتباطها بالعلم؛ والداعي إلى الله سيواجه -إذا سلك الطريق التي ذكرناها- أمورا سيحتاج إلى الصبر، ولذلك قال الشيخ -رحمه الله-:"الرابعة ..."؟.

قال -رحمة الله عليه-:" الرابعة: الصبر على الأذى فيه".

الشرح:

نعم، هذه -أيها الإخوة- هي المسألة الرابعة من المسائل العظيمة التي ينبغي على طالب العلم أن يستصحبها في كل علم، انتبهوا يا إخوة، هذه المسائل الأربع ينبغي أن تستصحبها يا مسلم في كل علم وليست خاصة بهذا الكتاب ولا بهذه المسائل بل كل علم لا بد أن تستصحب فيه العلم والعمل والدعوة والصبر.

والصبر في لغة العرب:الحبس والمنع، يقول العربي:صبرت نفسي على كذا أو عن كذا، أي حبستها على كذا أو حبستها عن كذا، ومنه قول الله -

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

عز وجل-:**{ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}** ، **{اصبر نفسك}** يعني:احبس نفسك معهم.

والصبر في الشرع -كما يقول العلماء- ثلاثة أقسام:

صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها.

وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها.

وصبر على الأقدار حتى لا يتسخطها.

فهذه أنواع الصبر:الصبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها وهو الذي يقول فيه العلماء:الصبر على طاعة الله.

والنوع الثاني: الصبر عن المنهيات من أجل يجتنبها، وهذا هو الصبر عن معصية الله ومحارم الله.

والقسم الثالث: الصبر على الأقدار وما يجريه الله على العبد حتى لا يتسخطها.

فالمطلوب من العبد -يا إخوة- فعله:إما واجب أو مستحب، وهذا هو الطاعات وفعلها لا يتم إلا بالصبر، لا يمكن أن يتم إلا بالصبر؛ والمطلوب تركه من العبد هو المحرمات والمكروهات، وهذه -بالنسبة للمحرمات- المعاصي، والمكروهات:المطلوب تركها من غير جزم، ولا

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يمكن ترك الإثنين إلا بالصبر؛ وما يقدره الله على العبد من المصائب –ولا بد من وقوعها– يحتاج إلى صبر.يقول ابن القيم –رحمه الله–: "فقيام عبودية الأمر والنهي والقدر على ساق الصبر لا تستوي إلا عليه كما لا تستوي السنبلة إلا على ساقها "[1] . والصبر منزلته عظيمة جدا، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–:"قد ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا"[2] ،وهذا –يا إخوة– يدل على عظيم مكانته. قال علماؤنا: الدين كله علم بالحق و عمل به،والعمل به لا بد فيه من الصبر ،وطلب علمه يحتاج إلى صبر .

إذن –يا إخوة– نعلم من هذه الأنواع الثلاثة أن الصبر له أثر كبير في دين الإنسان، والعلم والتعلم يحتاج إلى صبر، والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر، والعمل بالعلم يحتاج إلى صبر، وهناك عبارة جميلة قالها بعض أهل العلم، قال:" من حُرم الصبر حرم العلم"، لن ينال العلم إلا صبور لأن العلم ثقيل ويحتاج إلى صبر، والدعوة إلى الله تحتاج إلى صبر وهي أشد هذه المسائل حاجة للصبر لأن أذية الداعين إلى الخير تقع كثيرا، كثير من الناس يؤذون الدعاة إلى الخير، لماذا؟ لأنهم يخرجونهم من الشهوات

[1] "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" (ص 29).

[2] "مجموع الفتاوى" (39/10).وهو مروي عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ويمنعونهم من الشبهات، والإنسان ميال للشهوات منقاد للشبهات لأن العاطفة تغلبه، والعاطفة تجعله يميل إلى الشهوات والملذات وإلى الوقوع في الشبهات، ولذلك تجد أن كثيرا من الناس يؤذون العلماء بألسنتهم لأن العلماء يقولون هذا حلال وهذا حرام، حرام كذا حرام كذا حرام كذا، ولا يؤذون الذين يغرُّونهم فيُظهرون لهم أنهم متدينون ولا يحرّمون عليهم إلا قليلا، لذلك لو نظرت الآن إلى الناس تجد أنهم يقولون ما نريد هؤلاء العلماء المعقّدون الذين كلما قلنا شيئا قالوا حرام حرام حرام، نريد مثل فلان وفلان؛ لأنهم لا يمنعونهم من الشهوات إلا قليلا، وأما الشبهات فهم أربابها وأهلها وأسيادها والدعاة إليها وناشروها، فالناس لا ينالونهم في الغالب وإنما ينالون من العلماء أهل السنة الأثبات الذين يمنعونهم من الشهوات المحرمة ويدرؤون عنهم الشبهات المفسدة لعقائدهم وأعمالهم. والأنبياء –عليهم السلام– أوذوا، فكُذب الرسل، ومحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، فلما دعاهم إلى التوحيد قالوا: هو كذاب، هو كاهن، هو ساحر؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحاشاه صلى الله عليه وسلم، فآذوه فصبر النبي صلى الله عليه وسلم كما صبر أولوا العزم من الرسل حتى جاء نصر الله –عز وجل–.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

والأمر بالصبر قد جاء في القرآن وجاء في السنة، وصبر النبي صلى الله عليه وسلم صبرا عظيما، فهاهو صلى الله عليه وسلم قد قسم قَسْما فقال رجل: "إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله تعالى"، يقوله الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كلمة عظيمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه:" **فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**" هذا الذي قاله صلى الله عليه وسلم " **يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**" والحديث في الصحيحين[1] ، فالنبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذه الكلمة المؤذية ما قال إلا هذه الجملة العظيمة ،ويا ليت إخواننا طلاب العلم يسلكون هذا الطريق، فإذا جاءهم أن أخاً لهم يعرفونه ويعرفون فضله ويعرفون أنه من طلاب العلم ومن طلاب الحق، إذا جاءهم أنه قد قال فيهم كلمة،لو أن الديدن أن يقول الواحد منا:رحم الله الأنبياء قد أوذوا فصبروا، وإن لام أخاه لامه بطريقة طيبة فقال له مثلا: بلغني أنك قلت فيّ كذا ويعلم الله أنه ليس بي وأنا أريد فقط أن تعلم أنه ليس بي؛

[1] متفق عليه: البُخاري :(6336.6291.6100.6059.4336.4335.3150.3405). ومسلم:(2412. 2411).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

لكن الشيطان –يا إخوة– يحرص على طلاب العلم أكثر من حرصه على غيرهم، ويحرص على تفريق أهل الحق أكثر من حرصه على غيرهم، فينفخ في نفس هذا وينفخ في نفس هذا حتى يتهاجر أهل الحق على مسائل يسيرة وعلى أمور دنيوية، وقد يأتي الشيطان الخبيث فيلبس على طالب العلم فيجعل المسألة الدنيوية شرعية في نظره حتى لا يتنبه من غفلته، لأن طالب العلم يعلم أنه لا يحل له أن يهجر أخاه فوق ثلاث في أمور الدنيا –ولكن إذا كان ذلك بسبب شرعي جاز أن يكون فوق ثلاث – فيأتي الشيطان فيلبس على طالب العلم المسألة ويوسوس له أن هذه المسألة شرعية، وأصلها في الحقيقة دنيوي؛ أقول هذا –يا إخوة– لأني من طلاب العلم وأعيش ما يعيشه طلاب العلم، يبلغنا عن إخواننا كلام ونحن نعرف محبتهم وفضلهم وعلمهم ودعوتهم وأنهم من أهل السنة من أهل التوحيد، فلا نحسن التعامل مع هذا الكلام، ولذلك كلامي لنفسي أولا ولإخواني؛ يا إخوان نحن بحاجة إلى أن نعالج ما قد يكون بيننا، بحاجة عظيمة إلى أن نعالج ما قد يكون بيننا، وما أحوجنا –يا إخوة– إلى هذا الأمر، وهذه طريقة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي طريقة شرعية. إذن على المؤمن أن يعود نفسه على الصبر، ومخالطة الناس

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ودعوتهم والصبر على أذاهم من أعظم المنازل، مادمت -يا عبد الله- تخالط الناس بالحق وتدعوهم إلى الله وتصبر على أذاهم فأنت في منزلة عظيمة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" **المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم** " رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه جمع من أهل العلم[1] ؛ وهذا دليل عظيم -يا إخوة- على فضيلة الصبر، والداعية بحاجة إلى الصبر لاسيما الداعية إلى السنة، فإن الداعية إلى السنة، الداعية إلى العودة إلى كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم على ضوء فهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم- قد يؤذى أذى كثيرا بل قد يقال إنه يفرق الصف، وقد يُشتم، وقد يُعتبر شاذا، وقد يعتبر منبوذا وقد يقال إنه يشتت الكلمة ونحو ذلك من العبارات، فهو بحاجة إلى أن يصبر ويستمر على دعوته، وإن فعل ذلك فإن المرجو له من الله أن يزيده رفعة وأن يمكّن له، وفي القصص عبرة، هذا أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي كان من رؤوس الفتنة في القول بخلق القرآن وكان معظَّما في زمن الفتنة حتى كان بعض الناس -ومنهم بعض العلماء- من كان يُرى قد وضع نعله

[1] انظر: "السلسلة الصحيحة": 652/2. حديث رقم:939.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

تحت إبطه فيقال له:مه؟ فيقول:أريد أن أدرك الصلاة مع أحمد، فيقال له مع أحمد بن حنبل ؟ فيقول:لا، مع أحمد بن أبي دؤاد؛ والإمام أحمد بن حنبل إمام السنة -رحمه الله- أوذي في فتنة القول بخلق القرآن وحبس وضرب وأهين ولكنه صبر وثبت، وانظروا اليوم، أعداد هائلة من المسلمين تستفيد من علم الإمام أحمد وتترحم على الإمام أحمد وتسأل الله للإمام أحمد، وأما أحمد بن أبي دؤاد فمن يعرفه؟ ذاك الذي كان له الصيت وكان وكان وكان، أين هو الآن؟ لا يُعرف إلا في بطون الكتب وعند المتخصصين ولا يُعرف بالخير. عاقبة الصبر -يا إخوة- حميدة؛ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في زمن غربة في وقته يدعو إلى العودة إلى الكتاب والسنة وعلى أخذ كلام أهل العلم على وفق دلالة الكتاب والسنة، فيؤذى ويسجن في القلعة ويصبر ويتمكن من خصومه الذين حكموا عليه بالسجن وهم يخالفونه في العقيدة فيشفع لهم ألا يؤذَوْا، ويسجن حتى يموت وهو في القلعة، وهاهو شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- علمه يملأ الدنيا، وأنا أقول معتقدا -وأنا صادق فيما أقول- ما من صاحب حق اليوم إلا وللإمام ابن تيمية عليه فضل بعد فضل الله -سبحانه وتعالى-، لا يوجد رجل اليوم من أهل السنة ومن أهل الحق إلا

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وللإمام ابن تيمية عليه فضل بعد فضل الله -سبحانه وتعالى-؛ وهكذا أئمة الإسلام؛ فينبغي -يا إخوة- أن نديم النظر في سِيرهم لأنّا بحاجة إلى الصبر، ونحن في زمن الفضائيات وزمن المجاهيل وزمن الغربة وزمن المتكلمين نحتاج إلى الصبر حاجة شديدة، ومما يعيننا على الصبر -بعد الاستعانة بالله -سبحانه وتعالى- والاطراح بين يديه وسؤاله أن يثبتنا على السنة حتى نموت- أن نديم النظر في سِير علماء السنة، وإن الناظر في سير علماء السنة -واللهِ- يرى أن كل ما يؤذى به لا يساوي شيئا أمام ما أوذي به الأسلاف، وهذا يجعل طالب العلم يصبر على ما يناله، نعم.

قال -رحمة الله عليه-: " والدليل قوله تعالى: { والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}".

الشرح

نعم، هذه السورة العظيمة -يا إخوة- دليل على هذه المسائل الأربع: العلم والعمل والدعوة والصبر، كلها في هذه السورة[1] ، وهذه السورة جامعة لأصول الخير؛ أقسم الله -عز وجل- بالعصر فقال: **{والعصر}** والعصر: هو الزمن والدهر الذي تكون فيه الأعمال، فالدهر والزمن هو

[1] في الأصل: "هذه المسألة" والصواب ما أثبتناه، والله أعلم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الذي تكون فيه الأعمال فيكون فيه الربح وتكون فيه الخسارة، إن سوّد الإنسان زمنه وعصره بالمعاصي كان في الخسران، وإن أنار زمنه بالطاعات كان من أهل الربح. فالله يقسم بالعصر ولله -سبحانه- أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس لأحد من خلقه أن يقسم إلا به، لا يجوز للمخلوق أن يقسم بنبي ولا بوالد ولا بقريب ولا بحبيب ولا بغير ذلك. أقسم الله في أول هذه السورة لتأكيد الأمر وتعظيمه وتعظيم ما في هذه السورة؛ الله -عز وجل- صادق في قوله لا يحتاج إلى قسم ولكنه يقسم لتعظيم الأمر في نفوسنا وتأكيد الأمر، أقسم لينبهنا على عظيم ما في هذه السورة، فأقسم الله بالعصر أن جنس الإنسان في خسارة، جنس الإنسان في خسارة في سعيه إلا ما استثناه الله -عز وجل-. إذا علمت هذا يا عبد الله، إذا علمت أن جنس الإنسان في خسر ما الواجب عليك؟ الواجب عليك أن تسعى في أن تخرج نفسك من هذه الخسارة، أن تكون من أهل الربح.

{إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات} وهذه مسألة العمل، فهم عملوا، وأفرد الله الذين عملوا الصالحات مع أن العمل من الإيمان تأكيدا وتنبيها على أن العمل الصالح مراد، وسيأتي إن شاء الله الكلام على هذه المسألة

عندما نتكلم عن مسألة الإيمان والعمل وسنبينها إن شاء الله لمسيس الحاجة إليها.

ثم يقول الله –عز وجل–: **{وتواصوا بالحق}** وهذه هي مسألة الدعوة إلى الحق، **{وتواصوا بالصبر}** وهذه المسألة الرابعة التي هي الصبر.

إذن هنا ثلاث مسائل: العمل والدعوة والصبر فأين العلم؟ كل ما في السورة يدل على العلم، لأن الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يحتاج إلى العلم ...[1] فهذه السورة قد حوت الأوصاف الأربعة: الإيمان بالله ومنه العمل الصالح، والدعوة إلى الحق والنهي عن خلافه، والصبر، ومع هذه الثلاث العلمُ، فإن العلم قبل ذلك ومعه، وهذه مراتب جهاد النفس، فإن من أعظم الجهاد جهاد النفس، وقد بين الإمام ابن القيم –رحمه الله– مراتب جهاد النفس فقال:" **جهاد النفس أربع مراتب**.." من هنا سترون من أين استقى شيخ الإسلام هذه المسائل الأربع التي ذكر ،يقول ابن القيم –رحمه الله–:"**جهاد النفس أربع مراتب :إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا**

[1] انقطاع يسير في التسجيل.

فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به ،وهذا هو العلم ومعه الصبر .

المرتبة الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه .

المرتبة الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه .

المرتبة الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله –عز وجل– وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله لله "[1]، هذا القيد –يا إخوة– في كلام ابن القيم قيد مهم، يعني أن يكون صبره لله، لا يصبر لينال حظوة، ولا يصبر ليتمكن، الآن بعض الناس يقولون: من عوامل النجاح الصبر، المؤمن الموفق يصبر لله، صبره على كل هذا لله، فيتحمل ذلك لله، ولذلك قيد ابن القيم –رحمه الله– بهذا القيد؛ "**ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل العبد هذه المراتب الأربع صار من الربانيين**"[2]،وهذه المراتب –يا إخوة– هي هذه المسائل الأربع التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله عز وجل–، نعم.

قال -رحمة الله عليه- : "قال الشافعي -رحمه الله- :لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم".

[1] "زاد المعاد" : فصل مراتب الجهاد.9/3 " ط الرسالة 1407 – 1986.

[2] نفس المصدر.

الشرح:

الشافعي هو: الإمام المطلبي القرشي الفصيح، من آخر من يحتج بلغته، فهو عند أئمة اللغة ممن يحتج به في اللغة[1] ،إمام أجمع المسلمون على إمامته في الفقه والعقيدة، وهو من كبار أئمة أهل السنة والجماعة في فقههم وعقيدتهم؛ قال –رحمه الله–:"لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم"، فإن قال لنا قائل:أين إسناد هذا القول؟ **نقول**:إن المعروف عند أهل العلم أن أقوال العلماء تؤخذ بالاستفاضة والشيوع، أقوال العلماء والأئمة لا يشترط لها الإسناد وإنما يكفي فيها الشيوع والاستفاضة ثم يُنظر فيها ويُحكم عليها فقد تقبل وقد ترد، وهذا القول شائع مستفيض عن الإمام الشافعي فينبغي أن ننظر في معناه فإن كان صحيحا قبلناه؛ معنى قول الإمام الشافعي "لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم" فهمه بعض الناس على أن هذا القول يعني أن السورة تكفي عن القرآن فردّوا الجملة من أجل هذا المعنى، قالوا كيف تغني السورة عن القرآن ولا تغني كلمة عن كلمة في القرآن؟ **والجواب**: أن جملة الشافعي لا تعني هذا وإنما تعني أن هذه السورة كافية

[1] انظر: "معجم الأدباء : ترجمة الإمام الشافعي".

في إقامة الحجة من حيث الجملة على البشر، فهي بينت طريق الربح والخسران فبينت الأمور الكلية، والمعلوم –يا إخوة– أن هذه المنازل الأربعة التي وردت في السورة لا تنال إلا بالقرآن والسنة، فمراده –رحمه الله– أن هذه السورة العظيمة جمعت أصول الخير من حيث الجملة، فهي كافية للناس في الحث على التمسك بدين الله، إذا تدبرها العبد كانت كافية له لأن يتمسك بدين الله ويحرص على العمل بما جاء في الكتاب والسنة، ولا يعني أنها تغني عما جاء في القرآن أو ما جاء في السنة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله عز وجل–[1]:" وروي عن الشافعي –رضي الله عنه– أنه قال: لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم "، هذه رواية أخرى لمقولة الإمام الشافعي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ، "لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم " يعني لو تفكر الناس في معاني هذه السورة لكفتهم للتمسك بدين الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– :" وهو كما قال. فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنا صالحًا،

[1] مجموع الفتاوى 152/28.

ومع غيره موصيًا بالحق موصيًا بالصبر."[1] ،فهذه المقولة على المعنى الذي ذكرناه مقولة صحيحة وهي مستفيضة مشهورة عن الإمام الشافعي ،نعم.

قال -رحمة الله عليه-:" وقال البخاري -رحمه الله- :بابٌ العلم قبل القول والعمل ،والدليل قوله تعالى { فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك} فبدأ بالعلم قبل القول والعمل".

الشرح:

نعم، الإمام البخاري:الإمام المحدث الكبير محمد بن إسماعيل صاحب "الصحيح" آية عظيمة من آيات الله في الحفظ، اشتُهر بالحفظ والعبادة، ومن قرأ صحيحه علم وتيقن أنه من فقهاء [2/أ] الأمة، فهو من الفقهاء الكبار، وتبويب البخاري في الصحيح فيه أسرار علمية وفقهية لا يزال طلاب العلم إلى اليوم يكتشفون المزيد منها، ومن قال "إن البخاري ليس بفقيه" لا يعرف الفقه في الحقيقة، فإن من عرف الفقه وعرف "صحيح البخاري" عرف أن صاحبه من فقهاء الأمة الكبار رحمه الله عز وجل رحمة واسعة، وهو مشهور بالصلاح والعبادة رحمه الله. قال: " بابٌ العلم قبل القول والعمل " فالعلم مقدم على القول والعمل،"والدليل قوله تعالى: **{ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك}** "، احتج البخاري -يا

[1] نفس المصدر.

إخوة- بهذه الآية على أن العلم سابق للقول والعمل، وهذا دليل أيضا لشيخ الإسلام على أن العلم هو المرتبة الأولى.

قال الشيخ:"فبدأ بالعلم قبل القول والعمل" حيث أمر الله -عز وجل- نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم ثم العمل حيث بدأ بالعلم فقال: **{فاعلم أنه لا إله إلا الله }** وهذا دليل على بدء التعلم بالتوحيد، وهذا أعظم العلم، ثم أعقبه بالعمل في قوله **{واستغفر لذنبك}**، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:**"ابدأوا بما بدأ الله به"** وفي رواية" **نبدأ بما بدأ الله به"**[1] ونحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم نبدأ بما بدأ الله به فنبدأ بالعلم قبل القول والعمل .

ولما فرغ الشيخ -رحمه الله- من المسائل الأربع التي جعلها كالمقدمة للأصول الثلاثة بدأ في الأصول الثلاثة. شيخ الإسلام في تأليف هذا الكتاب سار على طريقة بديعة؛ فبدأ بالمسائل الأربع التي هي من الكليات العامة في العلوم، فكأنه يقول:يا طالب العلم إذا أردت أن تتعلم -وهذا الكتاب من أوائل ما تتعلمه - فعليك بأربعة أمور احرص عليها:

[1] أخرجه مسلم (1218) وأبو نعيم وأبو داود والنسائي في " الكبرى (2/80) والدارمي وابن ماجه وابن الجارود (469) والدارقطني (270) والبيهقي (5/ 7 . 9 /93) وكلهم قالوا: " أبدأ " إلا ابن ماجه والبيهقي في رواية فقالا: "نبدأ " وأما الدارقطني فوقع عنده "فابدءوا " بصيغة الأمر، وهو رواية لابن خزيمة في "صحيحه" (273/1) وهو شاذ. قاله العلامة الألباني رحمه الله، وانظر بقية تخريجه لهذا الحديث في "الإرواء: رقم 1120" فإنه بين سبب شذوذ هذه الرواية.

العلم والعمل والدعوة والصبر، فاحرص على هذه المسائل الأربع، ثم فصل -رحمه الله- الأصول الثلاثة، وهذا ما سنبدأ به إن شاء الله -عز وجل- في درسنا القادم في مجلس الغد -إن شاء الله-.

بسم الله، الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.أما بعد: يقول المصنف -رحمة الله عليه-: " اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا.."

الشرح:

نعم، هذه الجملة تقدمت معنا:"اعلم رحمك الله" وتكلمنا عنها.

"أنه يجب على كل مسلم ومسلمة " قلنا إن هذا داخل في فرض العين، وأن هذا هو من العلم الذي يجب على كل مسلم ومسلمة، وهذه المسائل الثلاث قال فيها الشيخ:

"الأولى: أن الله خلقنا " أُولى هذه المسائل -يا إخوة- أن الله خلق الخلق وأنعم عليهم بالنعم ولم يخلقهم هملا ولم يتركهم عبثا ولا سدى، ولكنه خلقهم لأمر عظيم وحكمة عظيمة سامية فيها ربحهم وسعادتهم وفوزهم في الدنيا والآخرة، ألا وهي عبادة الله وحده لا شريك له، الله -عز وجل- خلق الخلق وهذا أمر معلوم، وأنعم عليهم بالنعم وهذا أمر لا

يُنكَر، ولم يخلقهم هملا ولا عبثا ولم يتركهم سدى كالحيوانات لا يؤمرون ولا ينهون، بل خلقهم لأمر عظيم فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة وفيه خيرهم في الدنيا والآخرة وفيه ربحهم في الدنيا والآخرة وفيه صلاحهم في الدنيا والآخرة وفيه نجاتهم في الدنيا والآخرة، وقد أخبر الله -عز وجل- عن هذا الأمر فقال -سبحانه-:**{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}** فقصر الله -عز وجل- خلق الجن والإنس على عبادته سبحانه، وعبادة الله -سبحانه وتعالى- إنما تكون بتوحيده ولذلك قال العلماء: معنى **{ليعبدون}**: ليوحدون، أي ليفردوا الله -عز وجل- بالعبادة. ونلحظ هنا ملحظا -يا إخوة- وهو أن الله -عز وجل- ربط عبادته بخلقه للجن والإنس، فربط العبادة بالخلق وذلك لبيان أن الخالق الموجد من العدم هو المستحق للعبادة وحده -سبحانه وتعالى-، فالله واحد في أفعاله فواجب أن يوحده العبد في أفعاله -يعني في أفعال العبد- لا شريك معه، وهذا ربط عجيب يقود النفس إلى الأمر الفطري ألا وهو أن المتفرد بالخلق واجب أن يفرد بالعبادة، وكثيرا ما نجد أن الله -عز وجل- يربط العبادة بالخلق **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}. تأملوا في هذه الآية بدأها الله -عز وجل- بالأمر بالتوحيد وختمها بالنهي عن الشرك وجعل بين ذلك الإمتنان بالخلق، فربط الله -عز وجل- عبادته بالخلق **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ }** ثم ذكر الله -عز وجل- ما خلقه للإنسان من نعم **{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ}** ما النتيجة؟ جاء بالفاء **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ }** فنهى عن الشرك وهذا يدل -يا إخوة- على هذا الربط، فالله -سبحانه وتعالى- هو الخالق وهو المنعم فهو المستحق للعبادة لا شريك له. ولا شك -يا إخوة- أن عبادة الله لا يمكن أن نعرفها إلا من طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعبادات مبناها على التوقيف أي على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم. هذا مجمل المسألة الأولى.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-:"أن الله خلقنا وأوجدنا من العدم"، لا شك أن الله هو الخالق وأنه الذي أوجدنا من العدم، وقد دل على ذلك أدلة كثيرة جدا، يقول الله -عز وجل-:**{هُوَ**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} والآيات في ذلك كثيرة جدا، والعقل يدل على ذلك يدل على أن الله -عز وجل- خلقنا، فإنّا خُلقنا ولا شك في هذا، فنحن مخلوقون ولا بد أنّا قد خُلقنا من شيء، ومن المعلوم أنّا لم نَخلق أنفسنا فلم يبق إلا أن الله -عز وجل- هو الذي خلقنا، وهذا المعنى هو الذي ورد في قول الله -عز وجل-:**{أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون}** هذه القسمة:إما أنّا خُلقنا من غير شيء، وإما أنّا نحن الخالقون، والأمران باطلان عقلا فلم يبق إلا أن الله -عز وجل- هو الذي خلقنا -سبحانه وتعالى-.

قال الشيخ -رحمه الله-:"ورزقنا" هذا القرن العجيب بين الخلق والرَّزق من فقه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله عز وجل- ومن تبحره في كتاب الله -عز وجل- فإن هذه هي طريقة القرآن كما سمعنا في الآية التي معنا **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** هذا الخلق، **{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً}** هذه نعمة الرزق، فالله -عز وجل- خلقنا ورزقنا، وربط الأمر بعبادته بخلقه ورزقه لنا **{فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**،

والأدلة على أن الله -عز وجل- رزقنا كثيرة جدا كما قال الله -عز وجل-:**{إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين}**، والمعلوم أن العقل يدل على ذلك أيضا، فالطفل في رحم أمه يرزق ولا يتمكن أحد من الوصول إليه فمن الذي رزقه؟ الذي رزقه:الذي أوجده، الذي رزقه:الله -سبحانه وتعالى-، فالعقل يدل على أن الله -عز وجل- هو الذي رزقنا، نعم.

قال -رحمة الله عليه-:" الأولى أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا ".

الشرح:

نعم، هنا -يا إخوة- كأن سائلا سأل فقال: الله خلقنا ورزقنا فلِم خلقنا ورزقنا؟ هل خلقنا وتركنا هملا؟ فكان الجواب: "ولم يتركنا هملا" فهو -سبحانه- خلقنا ورزقنا لأمر عظيم فلم يتركنا سدى لا نؤمر ولا نُنهى بل أمرنا ونهانا وهذا واقع مدرَك، يقول الله -عز وجل-:**{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو }**، إذا علمتم أنّا خلقناكم ورزقناكم لغاية وأنكم إلينا راجعون فاعبدوا الله -عز وجل- لا إله إلا هو، هذا معنى الآية.ويقول -سبحانه-:**{أيحسب الإنسان أن يترك سدى}** هذا إنكار، الاستفهام إنكاري **{أيحسب الإنسان أن يترك سدى}** لا يؤمر ولا يُنهى **{ألم**

يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى} وهذا تذكير ببديع صنع الله - عز وجل- وعظيم لطفه بهذا الإنسان، هذا الإنسان الذي يتكبر عن عبادة الله - عز وجل- ما أصله؟ **{ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى}** فهذا من لطف الله - عز وجل- بهذا الإنسان ،**{فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى}** من رحم واحد، يأتي هذا ذكر وتأتي هذه أنثى وهذا من رحم واحد وبطريق واحد، وهذا من لطف الله - عز وجل- بعباده، جعل منهم ذكرانا وإناثا من رحم واحد ومن طريق واحد، من الذي فصل بينهما؟ ومن الذي أعطى هذا خلقه وهذا خلقه؟ إنه الله - سبحانه وتعالى-، يقول الله - عز وجل-:**{أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}** يعني كان الأول مسلَّما فكان الإلزام **{أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}**، فالإنسان راجع إلى الله، خُلق ليؤمر ويُنهى، خُلق ليعبد الله ثم هو راجع إلى الله، فهذا بدؤه وهذا منتهاه، وإذا علم الإنسان أنه خلق لعبادة الله وأن منتهاه أنه يبعث فكيف يترك عبادة الله ويتعلق بالدنيا؟ هذا بدؤه وهذا منتهاه، فهو خلق ليعبد الله ثم يبعث ليحاسب ثم المستقر إلى الجنة أو إلى النار.قال الشيخ..نعم.

قال - رحمة الله عليه-:" بل أرسل إلينا رسولا .."

الشرح:

نعم، هذا جواب لسؤال، قال الشيخ:"ولم يتركنا هملا " فكان السؤال:كيف لم يتركنا هملا؟ فكان الجواب:"بل أرسل إلينا رسولا"، ونحن معاشر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلينا أعظم رسله، فالمنة علينا عظيمة، أرسل إلينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يتلو علينا الآيات ويعلمنا الحكمة ويزكينا وينذرنا ويبشرنا، يهدينا الله به صراطه المستقيم، وهذه سنة الله في الناس يبعث إليهم الرسل كما قال الله – عز وجل–:{ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**} فلست عجيبا من الأمر، فهذه سنة الله يبعث للناس الرسل، ولماذا يرسل الرسل؟ كما قال الله – عز وجل–:{**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**}. إذن الله – عز وجل– خلق الخلق ولم يتركهم هملا وذلك بأن أرسل إليهم رسلا، ما وظيفة الرسل؟ مبشرين ومنذرين لإقامة الحجة على الخلق ولهدايتهم الصراط

المستقيم، إذن ربنا – سبحانه وتعالى– أكرمنا بأن أرسل إلينا خاتم رسله محمدا صلى الله عليه وسلم، نعم.

قال-رحمة الله عليه-:"فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار".

الشرح:

نعم، الله – عز وجل– خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملا وذلك بأن أرسل إلينا رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليأمرنا وينهانا، ليبين لنا طريق الجنة وطريق النار، فما من شيء يقربنا إلى الجنة إلا بينه لنا وأمرنا به، وما من شيء يقربنا إلى النار إلا بينه لنا ونهانا عنه، فمن أطاعه دخل الجنة لأن طاعة النبي صلى الله عليه وسلم طاعة لله، يقول الله – عز وجل–: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} فطاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق الرحمة، ومن كان دون الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يطاع بطاعة الرسول ولذلك يقول الله –عز وجل–: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**} وأولوا الأمر من جهة الأصل تطلق على العلماء والحكام {**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**} فكرر الفعل مع الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن مع ولاة الأمر:{**وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**}، وفي ذلك إشارة إلى أن من دون

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الرسول صلى الله عليه وسلم لا يطاع إلا بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنما طاعتهم في المعروف، فلا يطاع إمام ولا يطاع شيخ ولا يطاع قائد ولا يطاع حاكم ولا يطاع أمير ولا يطاع والٍ إلا في طاعة الله –يعني في غير المعصية– كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **على المرء المسلم السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**"[1]، والله –عز وجل– بين لنا أن طريق الرحمة هو طاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأَمرنا بالمسارعة إلى الرحمة والمغفرة فقال:{ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**} كيف نسارع ؟ بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فطاعة الله وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم هي طريق الرحمة، فمن لم يطع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يطع الله، ومن ادعى أنه يطيع الله وهو لا يطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه كاذب كما قال الله –عز وجل–:{**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} يقول العلماء: البرهان على طاعةِ الله طاعةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[1] متفق عليه: البُخَارِي (2955) و(7144) و(2955). ومسلم (4791) .من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فلا تتحقق طاعة الله إلا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله – عز وجل–:{ **وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**}، فجعل الله –عز وجل– طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم مع طاعته طريق الجنة. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" **من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله** " متفق عليه[1] ،ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:"**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل : ومن يأبى يا رسول الله، قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني دخل النار**" وفي رواية :" **ومن عصاني فقد أبى**" رواه البخاري في صحيحه[2]، فمن أطاع النبي صلى الله عليه وسلم دخل الجنة بدليل الكتاب والسنة. وقد جاء عن جابر –رضي الله عنه– أنه قال:" **جاءت الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا** " أي: إن للنبي صلى الله عليه وسلم مثلا " **فاضربوا له مثلا** " ما مثله؟ " **فقالوا: مثله مَثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدَبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل منها، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل** – إلى

[1] البُخاري (7137). و مسلم (1835) .من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] برقم (7280) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قولهم- **فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم، فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله**"[1]، هذا المثل ضربته الملائكة للنبي صلى الله عليه وسلم، فالله جعل محمدا صلى الله عليه وسلم طريقا إلى الجنة، بعثه داعيا إليها فمن أجابه واتبع سنته دخل الجنة وأكل من نعيمها، ومن لم يجبه لم يدخل الجنة .

قال الشيخ:"ومن عصاه دخل النار" وهذا تقدم معنا في ضمن ما ذكرناه، وأيضا ورد في قول الله -عز وجل-:{**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**} فالذي يعصي الله ورسوله ويتعد حدوده متوعَّد بهذا الوعيد الشديد. نعم.

قال -رحمة الله عليه-: " والدليل قوله تعالى:{ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً}."

الشرح:

نعم، الله -عز وجل- يأمرنا ويعظنا ويحذرنا في هذه الآية، فالله -عز وجل- يأمرنا بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويعظنا بقصة فرعون

[1] أخرجه البُخَارِي (7281).

مع موسى -عليه السلام-، ويحذرنا من معصية الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون مصيرنا مصير قوم فرعون، فالله - عز وجل- يخبر أنه أرسل إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا هو محمد بن عبد الله، شاهد عليهم بأعمالهم، ثم قال:{ **كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً**} أي: فلا تعصوه كما عصى فرعون موسى {**فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً**} يعني: لا تعصوا محمدا صلى الله عليه سلم حتى لا تدخلوا النار، ولا تعرضوا أنفسكم للعقوبات الآجلة في الدنيا.

وهذه المسألة العظيمة التي بدأ بها شيخ الإسلام -رحمه الله عز وجل- هذه المسائل الثلاث مسألةٌ ممهدة للمسائل التي تأتي بعدها، فما يأتي من المسائل هو كالمرتَّب على هذه المسألة.نعم.

قال -رحمة الله عليه-: " الثانية : أن الله لا يرضى أن يشرَك معه أحد في عبادته لا ملك مقرب ولا نبي مرسل."

الشرح:

نعم، هذه المسألة الثانية، وهذه المسألة الثانية -يا إخوة- فيها تحقيق للمسألة الأولى، فالمسألة الأولى كالمقدمة لهذه المسألة، فالله الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا بالنعم -وأعظم هذه النعم أن أرسل إلينا محمد بن عبد

الله صلى الله عليه وسلم- وأمر بعبادته، لا يرضى سبحانه أن يكون معه شريك في عبادته، فالعبادة حق لله وحده، فكما أنه تفرد بالخلق وتفرد بالإنعام وأرسل إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه لا يرضى أن نشرك معه غيره.

قال الشيخ:" أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد " و"أحدٌ" نكرة في سياق النفي فتعم.

ثم قال الشيخ:" لا ملك مقرب ولا نبي مرسل" لا ملك مقرب إلى الله -سبحانه وتعالى- ولا نبي مرسل فضلا عمن هو دونهما، أعلى المخلوقات: الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون، فإذا كان الله -عز وجل- لا يرضى أن يشرِك العبد معه في عبادته ملكا أو نبيا فمن باب أولى من كان دون ذلك، والدليل على أن الله لا يرضى أن يشرَك معه غيره أن الله نهى عن الشرك وما نهى عنه الله فإنه لا يرضاه، يقول الله -عز وجل-: {**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**} المساجد تبنى لعبادة الله فلا تدعوا مع الله أحدا، و {**أَحَدًا**} كما قلنا نكرة في سياق النهي -وسياق النهي وسياق النفي واحد- فتعم كل أحد، {**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**}.

ومعنى {**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**}: لا تدعوا مع الله كل أحد، وقال بعض أهل العلم: إن المقصود بالمساجدِ في الآية الأرض لأن الأرض جعلت لأمة محمد صلى الله عليه وسلم مسجدا وطَهورا، أي أن الأرض كلها لله، وإذا كانت الأرض كلها لله فمن المستحق للعبادة ؟ الله سبحانه وتعالى، {**فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**}.

وبين الله -عز وجل- أنه لا يرضى بالشرك والكفر ولا يرضى عن الكافرين كما قال الله -عز وجل-:{ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**} الله يرضى بالتوحيد ولا يرضى بالكفر والشرك بنص القرآن، وسيأتينا إن شاء الله بيان أن كل ذنب يقع تحت المشيئة إلا الشرك إذا مات عليه صاحبه فإن الله لا يغفره كما سيأتي إن شاء الله عز وجل.نعم.

قال -رحمة الله عليه-: **" الثالثة أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب ".**

الشرح:

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

هذه المسألة الثالثة مسألة متعلقة بأمر عظيم، فنتكلم عن مقدماتها ثم نجعلها مدار درسنا في يوم الغد -إن شاء الله عز وجل- لأن شأنها شأن عظيم لاسيما في هذا العصر.

بعد أن ذكر الشيخ -رحمه الله عز وجل- تحقيق التوحيد وبغض الله للشرك تكلم عما يتعلق بالمشركين، فإذا كان الله أمرنا بتوحيده وكان الله لا يرضى عن الشرك فما موقفنا من المشركين؟ فهذه هي المسألة الثالثة، يقول الشيخ: " من أطاع الرسول ووحد الله " هذه الجملة المراد بها الحث على الإمتثال كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم:" **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر**" لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم "**تؤمن بالله واليوم الآخر**"؟ من باب التهييج والحث على الإمتثال، فالشيخ هنا يحث على الإمتثال فيقول: إن كنت مطيعا للرسول صلى الله عليه وسلم موحدا لله فلا توالي الكفار؛ فهذا فيه حث على الإمتثال، ومن جهة أخرى المراد أن يبين الشيخ أن ذلك من مقتضيات التوحيد وأن هذه المسألة من مسائل التوحيد الكبار. إذن **لو قال لنا قائل**: لم صدر الشيخ -رحمه الله- كلامه بقوله: "أن من أطاع الرسول ووحد الله فلا تجوز له موالاة من حاد الله"؟ **قلنا**: لوجهين:

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الوجه الأول: الحث على الإمتثال، تهييج الإنسان ليمتثل كما تقول للشخص مثلا: إن كنت تحبني فأجب دعوتي، من باب تهييجه ليجيب الدعوة.

و**الوجه الثاني**: لبيان أن هذه المسألة من مقتضيات التوحيد وأنها من مسائل التوحيد الكبار.

" لا تجوز له موالاة من حاد الله " الموالاة هي المحبة والنصرة والتأييد من أجل الدين، وإن شاء الله في درسنا في يوم الغد سنبين أن محبة الكفار ليست درجة واحدة، فمنها ما هو كفر ومنها ما هو معصية ومنها ما لا يتعلق به التكليف؛ وسأبين ذلك -إن شاء الله - في يوم الغد.

فالمقصود بالموالاة هنا المحبة والنصرة والتأييد للكفار لكفرهم، فلا يجوز للمسلم أن يحب الكفار لكفرهم، ولا يجوز له أن يحب الكفار لدنيا يرجوها أو لأمر دنيوي أو لمعصية في الكافر، وسنفصل هذا ونبسطه إن شاء الله.

لا يجوز للمؤمن أن يحب الكافر لكفره -وهذه درجة سنتكلم عنها غدا إن شاء الله-، ولا يجوز للمسلم أن يحب الكافر لدنيا، بعض الناس يقول أنا أحب هذا الكافر لأنه يفي بالعهد..لأنه شريكي..لأنهم

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

منظمون..الكفار منظمون فأنا أحبهم، أو أحبه لأنه شريكي وهو مخلص لي، أو أحبه لأنه لاعب كرة. لدنيا! ، إما لدنيا يرجوها أو لأمر دنيوي أو لمعصيته: يحب الكافر لأنه مطرب..فنان..ممثل كبير، يقول أنا أحب فلان، وبعضهم يكتب على (فنيلته) أنا أحب فلان، لمعصيته ليس لكفره، كل ذلك حرام لكنه ليس درجة واحدة، وسأفصل هذا بأدلته في مجلس الغد إن شاء الله –عز وجل–. ولا يجوز للمؤمن أن يناصر الكفار لدينهم؛ مناصرة الكفار مثل محبتهم ليست درجة واحدة، وسنتكلم عنها– إن شاء الله– أيضا، ولو كان الكافر أقرب قريب له، لماذا؟ لأن الكفار حادوا الله ورسوله، والمحادة –محادة الكفار لله ولرسوله– لها معنيان عند أهل العلم:

المعنى الأول: أنهم أخذوا حدا وجانبا وجعلوا المسلمين في جانب آخر، فجعلوا بينهم وبين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حاجزا فاصلا، فالمحادة من الحد، والحد هو الحاجز بين الشيئين، هذا المعنى الأول.

والمعنى الثاني: أن المراد بمحادة الكفار لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم أنهم جعلوا بينهم وبين أولياء الله الحديد والنار فقاتلوا المسلمين وأعدوا العدة لقتال المسلمين وعملوا بذلك، وهم لن يرضوا عن المسلمين حتى

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يردوهم عن دينهم وهذا هو الأصل في الكفار ولذا وجب على المسلم أن لا يحب الكفار ولو كان الكافر أقرب قريب..ولو كان أبا أو أخا أو نحو ذلك، وإن كنا سنتكلم –إن شاء الله– في درس الغد أن الأب والقريب يتعلق به جانبان: جانب الدين وجانب القرابة، فيتعلق به جانب يتعلق بالدين ويتعلق به جانب يتعلق بالقرابة، وقد يبغض المسلم أباه لكفره ولكنه يحبه محبة فطرية لكونه أبا ولا تناقض بين الأمرين كما سيأتي إن شاء الله – عز وجل–، وهذا هو المعروف بالولاء والبراء. ولا شك –يا إخوة– أن للولاء والبراء منزلة عظمى في الإسلام، وقد عده علماء السنة من مسائل الأصول الكبار وذكروه في كتب العقيدة، وهذا الأمر وهذا الموضوع –مع أهميته– وقع فيه الخلط الكثير عند بعض المسلمين واختلطت فيه المفاهيم وتباينت فيه المواقف لاسيما في هذا الزمان الذي جعل أهل الأهواء فيه الولاء والبراء مطية لأهوائهم، فإذا كان يخدم أهواءهم أعملوه وغلوا فيه، وإذا كان لا يخدم أهواءهم عطلوه، والذي نراه اليوم في بلدان المسلمين من جرائم كبرى ومِن أَسَف أنها تنسب للجهاد فيدعي أصحابها أنهم أهل الجهاد والهجرة أو أهل سلفية التكفير والجهاد أو نحو ذلك، ما هذه الجرائم التي روعت المؤمنين إلا بسبب الخلط في

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

هذا المفهوم وما يتصل به من مفاهيم كما سنبين...[1] وسنذكر في درس الغد مواقف الناس من الولاء و البراء وكيف أن الناس وقفوا مواقف شتى مبنية على هوى أو على سوء قصد أو على عدم علم، وهذا ما سنشرحه غدا إن شاء الله لأني لا أحب أن أفْصل هذه المسألة، فالمسألة فيها أمور مهمة جدا يجب أن تُفقه لأن كثيرا من الناس قد جعلوا هذه المسألة مصيدة لشباب المسلمين لإيقاعهم في الفتن و [ب/2]...

بسم الله، الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: يقول المصنف رحمة الله عليه **:" الثالثة أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب".**

الشرح:

نعم، هذه الجملة العظيمة قد بينا معناها وتكلمنا عنها إلا أنها متعلقة بأصل الولاء والبراء وهذا أصل عظيم كما أشرنا فيما مضى، وقد تباينت مواقف المسلمين من هذا الأصل فأصبحتَ ترى عند بعض المسلمين تغييبا لمبدأ الولاء والبراء، فلا ترى فرقا بين عِلاقة بعض المسلمين بغير المسلمين وعلاقتهم بالمسلمين، بل أقول: قد تتميز علاقة بعض المسلمين

[1] انقطاع يسير في التسجيل.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

بالكفار على علاقتهم بالمسلمين. ومن ناحية أخرى تجد أن بعضهم قد فرط في ناحية أخرى فلا تجد عنده فرقا بين علاقته بأهل السنة وعلاقته بأهل البدعة، بل قد تتميز علاقته بأهل البدع على علاقته بأهل السنة، فإذا ذُكر أهل البدع –الذين عُرفوا بالبدع وثبتت عنهم البدع– أثنى عليهم وغضب إن نيل منهم، وإذا ذُكر أهل السنة أهل الحديث نال منهم وغضب إن مُدحوا، وهذا خلل في مبدأ عظيم من مبادئ الولاء والبراء، وبعض الناس جرّدوا هذا الأصل العظيم من المعنى الشرعي وجعلوه مطية للأهواء؛ ولهذا ينبغي على المسلم أن يتفقه في هذا الأصل وأن يعرف أصوله العظيمة، ونحن لن نستطيع في هذا الشرح المختصر أن نلمّ بالمسألة ولكنّا سنقف على أهم أصولها، وإن شاء الله –عز وجل– ستكون لي محاضرة في الشهر الرابع من هذا العام في مسجد قباء عن الولاء والبراء أفصل فيها الأصول التي لابد من تفصيلها في هذه المسألة.

فما هو الولاء والبراء ؟ لأن الحكم عن الشيء –كما يقولون– فرع عن تصوره، حتى تحكم على الشيء و تعمل بالشيء لابد أن تعرف حقيقته.

الولاء –أيها الإخوة– في لغة العرب هو: النصرة والمحبة والاتّباع والقرب من الشيء والكون مع المحبوبين ظاهرا وباطنا. كل هذه المعاني واردة

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

للولاء في لغة العرب، والمعنى -عند علمائنا- ليس بعيدا عن ذلك، فالولاء شرعا هو المحبة والنصرة والاتباع والكون مع المحبوبين ظاهرا وباطنا وما ينشأ عن ذلك من الأقوال والأفعال.

وأصل الولاء: المحبة، ولا يوجد الولاء إلا بالمحبة، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية:المحبة والقرب" [1] .

ويقول الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ -رحمه الله-:" وأصل الموالاة الحب وأصل المعاداة البغض، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة والهجرة"[2] .

إذن -أيها الإخوة- نستطيع أن نقول: إن الولاء شرعا هو التقارب بين القلوب و المحبةُ وما ينشأ عن ذلك من الأقوال والأفعال. والولاء على هذا -يا إخوة- نوعان:

النوع الأول: ولاء مشروع مطلوب وهو محبة الله -عز وجل- ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة دين الإسلام ومحبة المسلمين، هذا ولاء

[1] مجموع الفتاوى: (160/11).

[2] الدرر السنية في الأجوبة النجدية: (كتاب التوحيد: 325/2).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

مشروع: محبة الله ومحبة رسولنا صلى الله عليه وسلم ومحبة دين الإسلام ومحبة المسلمين.

وولاء ممنوع: وهو أيضا قسمان:

القسم الأول: ولاء كفري وهو محبة الكفار لدينهم وما ينشأ عن ذلك من الأقوال والأفعال، وسيأتي إن شاء الله بيان هذا؛ محبة الكفار من أجل دينهم وما ينشأ عن هذه المحبة من أجل الدين من الأقوال والأفعال:ولاء كفري.

والقسم الثاني: ولاء فسقي يكون فسقا ولا يكون كفرا وهو محبة الفساق والعصاة لفسقهم وما ينشأ عن ذلك، ومحبة الكفار للدنيا، محبة الفساق والعصاة -يعني من المسلمين- لفسقهم وما ينشأ عن ذلك، ومحبة الكفار للدنيا، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله -عز وجل-.

وأما البراء، فالبراء في لغة العرب -أيها الإخوة- التنزه والتباعد من الشيء، وأصل البراءة التخلص مما يُكرَه. والبراء في الشرع -عند علمائنا- هو بغض ما يبغضه الله -عز وجل- ومعاداته.هذا هو معنى الولاء والبراء، وكما قدمنا -وينبغي أن نفهم- أن أصل الولاء المحبة وأن أحكام الولاء تدور على المحبة كما سيأتي إن شاء الله -عز وجل-. ومن المسائل

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

المتأصلة عند السلف وعند أهل السنة والجماعة أن الولاء والبراء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول:الولاء والبراء مع غير أهل الملة يعني مع غير المسلمين، مع الكفار من يهود ونصارى ومجوس وغير ذلك، والولاء مع غير أهل الملة حرام مطلقا، محبة الكفار ونصرتهم وتأييدهم حرام على المسلم، والبراء منهم واجب مطلقا، ولا يجوز للمسلم أن يوالي غير المسلم، ولا يجتمع في الكفار ولاء وبراء وإنما هو براء خالص، فقد نهى الله –عز وجل– عباده المؤمنين عن موالاة الكافرين ولاء محبة وإخاء ونصرة حتى لو أقررناهم في بلادنا على الجزية فإنّا منهيون عن محبتهم ومناصرتهم، فلا يجوز لمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أن يوالي الكفار، يقول الله – عز وجل– مخاطبا للمؤمنين {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ**} وهذا يدل على أن ما في الآية شيء عظيم {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ** } في هذه الآية العظيمة –أيها الإخوة– نهى الله – عز وجل– المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء من غير نظر إلى ما هم عليه من الخبث،

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فلا يجوز لمسلم أن يتخذ من الكفار خليلا وصفيا، وعرّفنا ربنا –سبحانه وتعالى– ما عليه الكفار من الغش والخيانة للمسلمين فحذرهم بذلك منهم، وقد قال ابن عباس –رضي الله عنهما–:" كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحِلف فأنزل الله –عز وجل– فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم "[1].

قول الله –عز وجل– {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء**} نهي للمؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}. ونفّر الله –عز وجل– المؤمنين من موالاة الكفار بأن بين لهم أن موالاة الكفار من شأن المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار، فقال سبحانه:{ **بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا**}، الله –عز وجل– يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم:

[1] "تفسير الطبري– شاكر": (141/7)، رقم: 7680. ط الرسالة: 1420 هـ – 2000 م.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر والإلحاد أنصارا وأخلاء من غير المؤمنين، بشرهم بالعذاب الأليم، أيطلبون عندهم العزة والمنَعَة والقوة ؟ فإنهم لا قوة عندهم ولا عزة عندهم ولا منعة عندهم، وإنما العزة لله – سبحانه وتعالى– يعز من يشاء ويذل من يشاء.

وموالاة الكفار –يا إخوة– ليست درجة واحدة بل تتنوع، فقد تكون كفرا وقد تكون فسقا، وقد تكون دون ذلك، فهي تتنوع بحسب المحبة، فالحكم على الولاء يتنوع بحسب المحبة، وأرجو أن تضبطوا هذا؛ فإن كان حب الكافر لكفره –أي من أجل ما هو عليه– فذلك كفر لأن محبة الكافر لدينه منافية للإيمان، وشرط الإيمان بغض الكافرين كما قال الله – عز وجل– {**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**}.

وإن كان حب الكافر لفسقه أو لمعصية يقترفها، كمن يحب الكافر لكونه مطربا أو ممثلا؛ أو كان لمصالح دنيوية كتجارة أو نحوها مع بغضه لدينه، يعني انتبهوا !.. البغض لدينه موجود، لكنه يحب الكافر لكونه –مثلا– صاحب معصية يحبها هو، أو لوجود مصلحة دنيوية، فذلك ذنب يُنقِص الإيمان ولا ينقض الإيمان، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: "

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وقد تحصل للرجل مُوَادَّتُهُمْ لِرَحِمٍ أَوْ حَاجَةٍ فَتَكُونُ ذَنْبًا يُنقِص إيمانه وَلا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا– قال:– كَمَا حَصَلَ مِنْ حَاطِبٍ– رضي الله عنه–.. وَكَمَا حَصَلَ لِسَعْدِ بْنِ عبادة لَمَّا انْتَصَرَ لِابْنِ أُبي فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ. فَقَالَ: لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْت وَاَللَّهِ؛ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ " انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–[1]. فهذا لا شك أنه ذنب ولكنه ليس كفرا.

وإن كان حب الكافر جبِليا، أي فطريا يوجد في نفس الإنسان لقرابة أو نحوها، لكن لا يترتب عليه مخالفة الشرع مع وجود البغض للكفر، فهذا لا يتعلق به مدح ولا ذم، إن كان حب المسلم للكافر جبليا فطريا يوجد في قلب الإنسان من أجل القرابة أو الإحسان، مع أنه لا يترتب على ذلك مخالفة الشرع، ويوجد البغض للكافر لدينه، فهذا لا يتعلق به مدح ولا ذم، لا يُمدح به الإنسان ولا يُذم به الإنسان، ولا يقال إنه معصية، كحب الأب لابنه كما جاء عن نوح –عليه السلام– في قوله {**إن ابني من أهلي**} لما رأى ابنه يصارع الماء ويكاد يغرق، قال{**إن ابني من أهلي**} ولا يكون ذلك إلا من عاطفة؛ وكما في حب الابن لأبيه كما في

[1] "مجموع الفتاوى" (7 / 523، 522).ط الباز.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

قصة إبراهيم عليه السلام؛ وكحب الابن لأمه كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم فإنه استأذن ربه أن يستغفر لأمه فلم يأذن له فاستأذن ربه أن يزورها فأذن له فزارها صلى الله عليه وسلم فدمعت عيناه رحمة بها من النار[1] ، فالنبي صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يستغفر لأمه – والمعلوم أن أمه ماتت كافرة– فلم يأذن له ربه ،فاستأذن ربه أن يزور قبرها فأذن له فزار قبرها ، فلما وقف على قبرها ماذا حصل؟ دمعت عيناه صلى الله عليه وسلم رحمة لها من النار، وهذا لا يكون إلا من عاطفة؛ وكحب الإنسان قريبه –لاسيما مع إحسانه –كما قال الله –عز وجل– لنبيه صلى الله عليه وسلم:{ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**} وهذا في شأن عمه أبي طالب، فقال له الله –عز وجل–: {**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**}، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب عمه الحب الفطري الجبِلي، وكذلك أيضا حب الرجل لزوجته الكتابية، الله –عز وجل– أذن للمسلم أن ينكح كتابية، والمعلوم أن الكتابية من الكفار، وقد أثبت الله –عز وجل– كفرهم في كتابه لكن أذن الله –عز وجل– للمسلم ان ينكح

[1] أخرجه: مسلم (2255 و2256) ، وأبو داود (3234) والنسائي (2034) وابن ماجه (1569 و1572) وأحمد (9395). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

كتابية، والمعلوم أن الرجل إذا نكح امرأة يحبها حبا فطريا جبليا، فإذنُ الله –عز وجل– في نكاح الكتابية دليل على أن الحب الفطري الجبلي لا يُمدح به الإنسان ولا يُذم، فلا يلام عليه ولا يمدح به، لأن هذا الحب – أيها الإخوة– لا يكسبه الإنسان، يقع في القلب من غير كسب، والله – عز وجل– يقول: {**لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**}، وهذا الحب ليس من كسب الإنسان؛ لكن لاحظوا الأمرين المذكورين:

الأمر الأول: أن لا يترتب عليه أمر يخالف الشرع، فإن ترتب عليه أمر يخالف الشرع أصبح مذموما.

والأمر الثاني: أن يوجد بغضهم لدينهم، فهو وإن كان يحبهم الحب الفطري الذي يقع في القلب من غير اختيار إلا أنه يبغضهم البغض الشرعي الذي هو بغضهم من أجل دينهم.

ويتفرع على ذلك مسألة يلبّس بها كثير من أهل الأهواء على المسلمين:وهي مسألة نصرة الكافر على المسلم وإعانة الكافر على المسلم، كذلك فيها التفصيل المترتب على المحبة: فإن كانت نصرة الكافر على المسلم وإعانة الكافر على المسلم من أجل دينه فهذا كفر، أن ينصر

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

المسلم كافرا على مسلم لدين الكافر فهذا كفر، وهذا واضح بيّن.وإن كانت نصرة الكافر على المسلم لمصلحة دنيوية..لمال أو نحوه، لا لدينه، فهذا ذنب ومعصية وليس كفرا، ودليل ذلك ما وقع من حاطب –رضي الله عنه – عندما كتب إلى أهل مكة سرا يخبرهم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزوهم، وفي هذا إعانة لهم، يخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم عازم على غزوهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد غزوا يورّي حتى يفجأ العدو، فحاطب –رضي الله عنه– كتب رسالة إلى قريش يخبرهم أن النبي صلى الله عليه وسلم عازم على غزوهم، ولا شك أن في هذا إعانة لهم حيث يستعدون لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم، فأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم بما حصل، فأرسل صلى الله عليه وسلم من يأتي بالكتاب من المرأة التي حملته إلى أهل مكة، فجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنادى حاطبا –رضي الله عنه–، فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم:**"ما هذا؟"**، انتبهوا ! النبي صلى الله عليه وسلم ما قال:هذا معين للكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا كافر اقتلوه، أولاً قال له:**"ما هذا؟"** والسؤال يدل على التفصيل، لأنه لو لم يكن هنالك تفصيل لما كان هناك حاجة للسؤال، كون النبي صلى الله

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

عليه وسلم يقول له: **"ما هذا ؟"**، فحاطب –رضي الله عنه– قال:"لا تعجل علي يا رسول الله"، فهو يبدي عذره "إني كنت امرأ ملصَقا في قريش" كان حليفا وليس من قريش، "إني كنت امرأ ملصَقا في قريش وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي "، قال أنا رجل حليف ليس لي قرابة في قريش تحمي أهلي هناك، والذين معك من المهاجرين كلهم لهم قرابات يحمون أهليهم، فلما فاتني النسب أردت أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، ثم ماذا قال –رضي الله عنه–؟ "ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام" انظروا هذه الجمل، هذه الجمل –يا إخوة– تدل على أن الصحابة كانوا يعلمون أن الإعانة والنصرة للكفار إنما تكون كفرا إذا كانت على وجه النصرة لدينهم، فهو يعتذر –رضي الله عنه– للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام" فقال النبي صلى الله عليه وسلم:**"صدق"**، صدّقه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: "يا نبي الله دعني أضرب عنق هذا المنافق "، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" والحديث في الصحيحين[1].

هنا –يا إخوة– حاطب –رضي الله عنه– أعان قريشا بإخبارهم ومع ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يكفره وإنما لامه وسأله، فاعتذر بأنه لم يفعل ذلك رضى بالكفر بعد الإسلام، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم، فطلب عمر –رضي الله عنه– أن يضرب عنقه، ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، هذه الجملة –يا إخوة– فيها دليل من جهتين :

فيها دليل على أن هذا الفعل ذنب، لأنه لو لم يكن ذنبا ما احتاج إلى المغفرة، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم"، إذن هذا الفعل كان ذنبا.

ويدل من جهة أخرى على أنه ليس كفرا، لأنه لو كان كفرا لما غفره الله –عز وجل– بشهود بدر ولا غيره، لأن الله لا يغفر أن يشرك به، لو كان كفرا لما كان شهود بدر سببا للمغفرة، لأن الكفر –يا إخوة– لا يغفره الله –عز وجل– إلا بالتوبة منه، ومن مات وهو عليه لا يغفر الله –عز

[1] البخاري (3007) و (4274) و (4890) ، ومسلم (2494).عن علي رضي الله عنه.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وجل– له ذنبه، فدل ذلك على أنه ليس كفرا وإنما هو ذنب تحت المشيئة، وقد قال[رسول] الله [صلى الله عليه وسلم]: "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".

إذن إعانة الكفار على المسلمين للدنيا ذنب ومعصية لكنها ليست كفرا، وهذا ظاهر من الحديث.

فإن قال قائل: إن حاطبا –رضي الله عنه– شهد بدرا وهذه مزية له لا توجد في غيره، فالمسلم اليوم –مثلا– لم يشهد بدرا، فإذا فعل فإنا لا نقول فيه هذا الحكم. **نقول**: هذا غلط، لأن شهود بدر ليست مزية يغفر بها الشرك ويغفر بها الكفر، وهذا أمر باق إلى يوم القيامة.

إذن أعود وأقول: إن كانت نصرة الكافر على المسلم لمصلحة دنيوية..لدنيا، فهذا ذنب وليس كفرا.

وإن كانت نصرة الكافر على المسلم لمنع المسلم من الظلم بالأخذ على يده، أو كانت لمنع الفساد في الأرض، يعني يُعان الكافر على المسلم لمنع المسلم من الظلم، فهذا ليس حراما بل مطلوب شرعا، لأن في ذلك نصرة للمسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **"انصر أخاك ظالما أو**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

مظلوما"[1]، فكونه يؤخذ على يد المسلم حتى لا يظلم الكافر، هذه نصرة للمسلم، ولأن في منع الفساد تحقيقا للمقصود الشرعي إذا تعينت إعانة الكافر طريقا لذلك، يعني رجل مفسد في الأرض -كما يفعل بعض المخربين اليوم- يخرب في كل مكان، ما من فتنة في ديار المسلمين إلا وله فيها يد، فيتعاون الناس في أقطار الأرض لمنع فساده، هذا مطلوب شرعا، وهو من الأمور المطلوبة من ولاة الأمور، فهذا ليس كفرا وليس حراما[2].

إذن هذه هي أحوال النصرة.

القسم الثاني - يا إخوة- من الولاء والبراء: هو الولاء والبراء بين المسلمين، وقد جعل الله -عز وجل- الولاية بين المسلمين في قوله سبحانه: {**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**} المؤمنون تتقارب قلوبهم وإن تباعدت أبدانهم.. وإن تباعدت أقطارهم.. وإن نأت ديارهم..وإن تباعدت أزمنتهم، فالمؤمن له الولاء، لكن المؤمنين على درجات:

[1] أخرجه: البخاري: (6952)و(2443)و(2444). والترمذي: (2255).
وأحمد: (11971)و(13110). وابن حِبَّان: (5167)و (5168). وعَبْد بن حُمَيْد: (1401).وأبو يَعْلَى: (3838) . من حديث أنس رضي الله عنه.

[2] يعني ليس معصية.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

من المؤمنين من له الولاء المطلق والمحبة الخالصة التي لا بغض فيها، من المؤمنين من يُحب حبا خالصا لا بغض فيه، وهذا للخلّص من المؤمنين وعلى رأسهم الأنبياء -عليهم السلام- وعلى رأس الأنبياء نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ومنهم الصحابة رضوان الله عليهم.

ومنهم التابعون.

ومنهم أئمة السنة.

فهؤلاء يحبون محبة خالصة لا بغض فيها.

ومن المؤمنين من يُحب من وجه ويبغض من وجه آخر، فيجتمع فيه الولاء والبراء، تجتمع فيه المحبة والبغض وقد يكون أحدهما أغلب من الآخر.. يتفاوت، بعض الناس حبه أعظم من بغضه، وبعض الناس بغضه أعظم وأكبر من حبه، من المسلمين من يكون له حب وبغض في القلب، وقد يغلب أحدهما الآخر، فيكون حب فلان في قلبك أكبر من بغضه، ويكون بغض فلان في قلبك أكبر من حبه، طيب معاملته في الظاهر كيف تكون؟ قال العلماء يُنظر فيها إلى أمرين:

الأمر الأول: إلى الأغلب، هل الأغلب البغض أو الأغلب الحب؟

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الأمر الثاني: يُنظر في ذلك إلى المصلحة الشرعية.

هل تُظهر له المحبة والمودة ؟ أو تظهر له الجفاء ؟

أول أمر: يُنظر إلى الأغلب في القلب، طبعا والأغلب مبني على المقتضى الذي يقتضيه.

والأمر الثاني: يُنظر إلى المصلحة، والعلماء يقولون: المصلحة هنا ليست مصلحة متعلقة بجهة واحدة بل لها جهات، وهذا ما ينبغي فقهه، لأن بعض طلاب العلم يقصُر نظرَه على جهة واحدة فيقع الخطأ.المصلحة تتعلق بالدين؛ مصلحة الدين، وتتعلق بالمعامِل، وتتعلق بالمعامَل، وتتعلق بالمسلمين. أربع جهات:

مصلحة الدين.

ومصلحة المعامِل.

ومصلحة المعامَل.

ومصلحة المسلمين.

مصلحة الدين: يُنظر ما هو الأصلح للدين، أن يُعامَل بحب ومودة ؟ أو أن يُعامل بجفاء؟ وبحسب مقتضيات المصلحة يُعمَل.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

مصلحة المعامِل: يُنظر لمصلحة هذا المعامِل إن كانت مخالطته وموادته الظاهرة لهذا الرجل ستؤثر فيه، من بدعته..من فسقه، فإنه لا يواده ولا يُظهر له الموادة والمواصلة.وإن كانت موادته ومواصلته ومعاملته معاملة المودة في الظاهر لا تؤثر فيه شيئا من فسق ذاك ومن بدعته فهذا يواصَل، لكن بالنظر إلى المصالح الأخرى أيضا.

وأما مصلحة المعامَل: فيُنظر إن كان إظهار المودة له أصلح لقلبه، فإذا أظهرت له المودة استحى منك وترك البدعة أو ترك المحرم فإنه يواصَل مع النظر إلى المصالح الأخرى. وإن كان إظهار العداوة والبغض له والجفاء أصلح له وإذا رأى أنك تبغضه وتظهر له الجفاء بسبب ما هو عليه يترك هذا الأمر، فإنك تظهر له الجفاء .

وأما مصلحة المسلمين: فيُنظر فيها إلى عموم المسلمين، إن كان إظهارك المودة له سيغر المسلمين به ويجعل المسلمين يُقبلون على ما هو عليه من شر، من بدعة أو فسق أو نحو ذلك، فإنك لا تُظهر له الموادة وتُظهر الجفاء والبغض. وإن كانت مصلحة المسلمين أن تُظهر موادته – وأنت آمن من وقوع المسلمين بِشرّه بسبب هذه الموادة– فإنك تُظهر موادته.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

إذن –يا إخوة– النظر في أربعة أمور في الناحية الثانية وليس في أمر واحد. بعض الناس اليوم يتكلم عن المصلحة، نعم ولكن يتكلم عن المصلحة في جانب واحد وهو جانب المعامَل، وهذا قصور، المصلحة – عند أهل العلم– لها أربعة جوانب في هذا الباب: مصلحة الدين والسنة.

مصلحة المعامِل نفسه.

ومصلحة المعامَل.

ومصلحة المسلمين.

إذن لو قال لنا قائل: إن من المسلمين من يُبغض من وجه ويُحب من وجه.

قلنا: نعم .

قال: كيف نعمل في الظاهر؟

فإنا نقول: إن العمل في الظاهر يكون بهذين الميزانين:الأغلب في القلب، والنظر إلى المصلحة من الجهات الأربع التي أشرنا إليها[1].

إذن –أيها الإخوة– إن من يُحب من وجه ويُبغض من وجه من يكون فيه مخالفة للشرع مع إسلامه، من بدعة أو فسق أو نحو ذلك، فيُحب بمقدار

[1] انظر –رعاك الله– إلى هذا التحقيق والإيضاح وهذا الفهم السليم للنصوص الشرعية والذي يتماشى مع مقاصد ديننا الحنيف. ولا يغرنك ما يتفوه به بعض الأغمار هذه الأيام. والله المستعان.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ما فيه من خير ويُبغض بمقدار ما فيه من شر وفسوق. ولا يجوز لمؤمن أن يُبغض مسلما في قلبه بغضا خالصا ما دام أنه مسلم، ولا يجوز للمسلم أن يحب الفاسق في قلبه حبا خالصا، بل لابد من اجتماع الأمرين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله عز وجل– مبينا قاعدة جليلة عظيمة في ذلك، قال: "المؤمن عليه أن يعادي في الله – انتبهوا يا إخوة!– ويوالي في الله" فليس الولاء والمعادة من أجل عصبية أرضية فيوالي أهل جنسيته مثلا، وليس لعصبية قبلية، وليس لعصبية حزبية ولا لغير ذلك[1] ،وإنما الولاء لله وفي الله ، يقول: "المؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله [...] وليُعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن الله – سبحانه وتعالى– بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه – إلى أن قال رحمه الله عز وجل:– وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة – مُخلِّط[2]– استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق

[1] ارجع – غير مأمور– إلى "التعصب الذميم وآثاره" للشيخ الفاضل ربيع بن هادي –حفظه الله–. و"الأحاديث النبوية في ذم العصبية الجاهلية" للشيخ عبد السلام بن برجس –رحمه الله–.

[2] هذا من كلام شيخنا –حفظه الله–.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، فيجتمع له من هذا وهذا – قال:- هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة "[1]. ثم وضع قاعدة عظيمة فقال: "من كان مؤمنا وجبت موالاته من أي صنف كان، ومن كان كافرا وجبت معاداته من أي صنف كان [...] ومن كان فيه إيمان وفيه فجور أعطي من الموالاة بحسب إيمانه ومن البغض بحسب فجوره "[2].

إذن أخذنا من المؤمنين صنفين:

صنف يُحَب حبا خالصا لا بغض معه.

وصنف يُحَب من وجه ويُبغَض من وجه.

بقي معنا صنف ثالث وهو الصنف الذي يُبغض فعله [3/أ] ولا يُبغَض، يُبغض فعله إذا فعل ما يخالف في الشرع أو ما لا يُقَرُّ عليه، لكن لا يُبغض هو لوجود مانع من بغضه، كأن يكون مجتهدا اتقى الله ما استطاع فأخطأ، لا يُقَر على خطئه ويُتبرأ من فعله، لكن لا يُتبرأ منه، ومن ذلك ما جاء في قصة خالد –رضي الله عنه– في حديث ابن عمر –رضي الله

[1] " مجموع الفتاوى" (28/ 209) .

وانظر: مقال "الرد على شبهة موالاة أهل البدع" لعبد الحميد الجهني وفقه الله.

[2] مجموع الفتاوى: (228/28).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

عنهما– قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جُذَيمة فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا" ومعنى صبأنا في لسان خالد –رضي الله عنه– :كفرنا، وهم أرادوا أن يقولوا أسلمنا فلم يحسنوا ذلك، قالوا: "صبأنا صبأنا –قال ابن عمر رضي الله عنهما– فجعل خالد يقتل ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره " .. طبعا ابن عمر رضي الله عنهما لم يقتل أسيره ومنع من معه من قتل أسراهم إلى أن رجعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن عمر –رضي الله عنهما–: "فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ بن الوليد** مَرَّتَيْنِ "، ذكر البخاري هذا الحديث تحت باب:إذا قضى الحاكم بجور أو خلاف أهل العلم فهو رد[1].

قال الحافظ الذهبي عندما ذكر القصة في "سير أعلام النبلاء"، قال معلقا على هذا: "ولخالد اجتهاده ولذلك ما طالبه النبي صلى الله عليه وسلم بدياتهم"[2]. فهو مجتهد –رضي الله عنه– وهو معذور، لكن النبي صلى

[1] برقم: 7189.

[2] " السير" (371/1).

الله عليه وسلم برئ من فعله، ولهذا يقول الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "والذي يظهر أن التبرؤ من الفعل لا يستلزم إثم فاعله "[1].

إذن قد يُتبرأ من الفعل ولا يُتبرأ من الفاعل، متى يكون ذلك؟ وهذه مسألة مهمة، لأن بعض الناس يريد أن يجعل ذلك قاعدة فيقول: التبرؤ من الأفعال أما الفاعل فلا نتبرأ منه. نقول: لا، الأصل إذا وقع الفعل المخالف للشرع أن يقع البراء من الفعل والفاعل بمقداره، لكن إذا وُجد مانع يمنع من البراء من الفاعل كاجتهاد يُعذر به، أو جهل يُعذر به، فإنه لا يُتبرأ من الفاعل ولكن يُتبرأ من الفعل.

فهذه أقسام الولاء والبراء، وأقسام الولاء والبراء بين المسلمين، ولكل حكمه، ومن الظلم أن يوضع التمر مكان الجمر وأن يوضع الجمر مكان التمر، بل يوضع كل شيء في منزلته، ويُقْدَر كل شيء بقدَره.

لعل في هذا كفاية اليوم، ونعود غدا إن شاء الله لننهي الكلام المختصر على هذا الأمر بضوابط في تعامل المسلم مع غير المسلمين، لأن بعض الناس اليوم عنده خبْط، فجعل كل معاملة مع الكفار من الولاء، فنحتاج إلى ضوابط. منها -أيضا- أن بعض الناس اليوم يُكفِّر بالأفعال التي هي

[1] "الفتح" (182/13).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

ليست من الولاء وإنما من مقتضيات البراء، وهذه -إن شاء الله- سنتكلم عنها ونضبطها في درس الغد إن شاء الله.

..نحن -أيها الإخوة- نجتمع على شرح الأصول الثلاثة، وكان مدار درسنا بالأمس مسألة في غاية الأهمية، ألا وهي مسألة الولاء والبراء، وقد ذكرنا أهم الأصول التي ينبغي أن تُذكر في هذه المسألة، ونختم اليوم الكلام عليها بذكر بعض الضوابط المهمة في هذا الباب حتى لا يخلط طلاب العلم في المسألة ولا يخلط عوام المسلمين فيها.

أختم بأربعة ضوابط، وإن كانت الضوابط في هذا الباب كثيرة جدا، إلا أن مقام الاختصار يجعلنا نقتصر الآن على ضوابط أربعة:

الضابط الأول: أن معروف الكفار غير الحربيين يقابَل بالمعروف والبر، بمعنى أنه إذا أحسن الكافر غير الحربي لمسلم فإن المسلم يقابل معروفه بالمعروف، فيجوز للمسلم أن يقابل المعروف بالمعروف، ويجوز للمسلم أن يبادل البر بالبر والإحسان بالإحسان، فإن الله -تعالى- لم ينه المؤمنين عن مقابلة المعروف بالمعروف والبر بالبر، قال الله -عز وجل-: {**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا**

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، فمن سالم المسلمين من الكفار وكف أذاه عنهم فإنه يعامَل بالتي هي أحسن ويُنصح ويُرشَد.

وفي هذا الباب تقول "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء" في جواب لها من الأجوبة السديدة، وفتاوى "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء" باب عظيم من أبواب العلم، وأنصح طلاب العلم في مراجعتها والتأمل فيها والتأمل في الأصول العظيمة التي تقرَّر فيها. تقول "اللجنة الدائمة" في هذا الباب: "أحسنوا إلى من أحسن إليكم منهم -أي من الكفار غير الحربيين[1]- وإن كانوا نصارى فإذا أهدوا إليكم هدية [مباحة][2] فكافئوهم عليها، وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من عظيم الروم وهو نصراني وقبل الهدية من اليهود"[3] . فاللجنة تُرشد إلى الإحسان إلى من أحسن إلينا من الكفار غير الحربيين، والمعلوم -أيها الإخوة- أن مقابلة المعروف بالمعروف لا تستلزم المحبة، ولذلك يقول

[1] ما بين معترضتين من كلام شيخنا حفظه الله.

[2] زيادة من فتاوى اللجنة. لم يذكرها شيخنا حفظه الله.

[3] "فتاوى اللجنة الدائمة": معاملة الجيران من أهل الكتاب: السؤال العاشر من الفتوى رقم (5176).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الحافظ بن حجر -رحمه الله عز وجل-: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابّ والتوادّ المنهي عنه "[1].

وهنا -يا إخوة- فقه عظيم، لأن بعض الناس تجده يقول: فلان من الناس يحب الكفار، فإذا قلتَ له: ما الدليل على أنه يحب الكفار؟ قال: أنه يحسن إليهم ويرسل إليهم الهدايا ويعطيهم ويعطيهم. وهذا غلط عظيم، فإن الإحسان والبر والمعروف لا يستلزم الموادة، والصلة والمكافأة الدنيوية شيء، والمودة شيء آخر، فمن سالم المسلمين من الكفار وعاملهم بالتي هي أحسن، عامَلوه بالمعروف وعاملوه بحسن المعاملة، وفي ذلك ترغيب للكفار في الإسلام، وللإمام القَرافي المالكي كلام نفيس جدا في هذه المسألة ذكر فيه أصولها التي ينبغي أن يُتنبه لها فيها فقال[2]:" نبَرُّهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب ولا على تعظيم شعائر الكفر، فما أدى إلى أحد هاتين امتنَع وصار من قِبَل ما نُهي عنه.. -قال:- هذه قاعدة الشريعة..-إلى قوله:- وأما ما أُمر به من بِرهم من غير مودة باطنية كالرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل التلطف لهم والرحمة لا على سبيل

[1] "الفتح" 233/5.

[2] "أنوار البروق في أنواع الفروق": الفرق التاسع عشر والمائة بين قاعدة بر أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

الخوف والذلة، واحتمال أذيتهم في الجوار لطفا منا بهم، والدعاء لهم بالهداية وأن يُجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غَيبتهم إذا تعرّض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يُعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم جميع حقوقهم..-إلى قوله:- وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بُغضنا"، يعني إذا كنا نقابل معروفهم بالمعروف وإحسانهم بالإحسان، ينبغي أن لا نغفل عن قلوبنا، لأنه يُخشى مع هذه المعاملة أن تتسلل المودة إلى القلب، فينبغي أن نتنبه للقلوب، ولذلك يقول -رحمه الله-:"وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بغضنا وتكذيب نبينا صلى الله عليه وسلم وأنهم لو قدِروا علينا لاستأصلوا شأفتنا واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا - نستحضر هذا في قلوبنا، قال:[1]- ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره، ولا نُظهر آثار تلك الأمور التي استحضرناها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة"، يعني لا نُظهر آثار تلك الأمور التي استحضرناها ونجعلها في الظاهر، ولكنا نستحضرها في قلوبنا ونعاملهم بالإحسان،

[1] ما بين معترضتين من كلام شيخنا حفظه الله.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

لماذا؟ قال: " وإنما استحضرناها حتى يمنعنا ذلك من الود الباطن لهم" خوفا على قلوبنا، وهذا أمر عظيم يجب أن يتنبه له المسلم. ومن هذا الباب -يا إخوة- أنه يجوز للمسلم أن يؤاكلهم ويخالطهم بشرطين:

الشرط الأول: أمن الفتنة، أن يأمن على نفسه الفتنة من مخالطتهم.

والشرط الثاني: عدم المودة والمحبة.

فإذا أمن الإنسان فتنتهم على نفسه، ومعنى هذا أنه يرجو بمؤاكلتهم ومخالطتهم بالمعروف أن يؤثر فيهم، يرغّبهم في الإسلام وهو آمن على نفسه من فتنتهم، وكان لا يودهم ولا يحبهم بقلبه، فإنه لا بأس عليه من مخالطتهم ومؤاكلتهم.

تقول "اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء": "يجوز أن تأكل مما يقدمه لك زميلك النصراني من الطعام سواء كان ذلك في بيته أو غيره إذا ثبت لديك أن هذا الطعام ليس بمحرم في نفسه أو جهل حاله؛ لأن الأصل في ذلك الجواز حتى يدل الدليل على المنع"[1]. ومن هذا الباب أيضا جواز مزاورتهم وجواز الإذن للكفار في الزيارة -كما قلنا- بالشرطين العظيمين: أمن الفتنة وعدم المحبة .

[1] "فتاوى اللجنة الدائمة" : أكل المسلم من طعام أهل الكتاب وتقديم الكتب الإسلامية لهم والصلاة أمامهم والذهاب إلى كنائسهم: السؤال الأول من الفتوى رقم (3262).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

تقول " اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء": "يجوز أن نأذن لهم في زيارتنا في بيوتنا، مع الأمن من الفتنة، والمحافظة على حرمات الأسرة "، انظروا دقة أهل العلم، يقولون: يجوز أن نأذن لهم ماداموا أنهم ليسوا من الحربيين بشرط أمن الفتنة وبشرط –أيضا– تعظيم الحرمات، لأن بعض الناس إذا خالط بعض الناس أصبح يعاملهم كما يتعاملون هم، فبعض المسلمين –والعياذ بالله– مثلا إذا تعامل مع كافر والكفار يجتمعون رجالا ونساء، إذا دعا الكافرَ طلب من امرأته أن تجلس معهم –مثلا– وتجالسهم ونحو هذا، هذا من أعظم الذنوب، ولذلك تقول "اللجنة" :"..مع الأمن من الفتنة والمحافظة على حرمات الأسرة، ما دام في ذلك تأليف لقلوبهم والنصح والإرشاد، عسى أن يجدوا في حسن المعاملة ومراعاة آداب الزيارة حُسن الإسلام[1] فيستجيبوا للنصيحة ويدخلوا في الإسلام"[2] . وقد عاد النبي صلى الله عليه وسلم يهوديا، وأجاب دعوة اليهودية.

[1] كذا قال شيخنا ،وفي فتاوى "اللجنة" : " سماحة الإسلام".

[2] " فتاوى اللجنة الدائمة": مشاركة الكفار في الأعمال التجارية: فتوى رقم (5855).

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

وكان ابن عمر –رضي الله عنهما– إذا ذبح شاة أهدى لجار له يهودي بل كان يتفقد ذلك، فكان إذا غاب عن أهله وجاء سأل: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟[1]، وهذا من المعاملة بالإحسان.

إذن معروف غير الحربيين يقابَل بالمعروف، ويجوز لنا أن نعامل الكفار غير الحربيين بالإحسان بشرط أمن الفتنة وعدم المحبة.

الضابط الثاني: تبادل المنافع المباحة مع الكفار مباح، فيجوز للمسلم أن يبايع غير المسلمين وأن يشتري منهم، وأن يتبادل معهم المنافع المباحة كالعلم النافع، يجوز للمسلم أن يأخذ العلم النافع الطيب من الكفار كعلم الطب –مثلا– الذي لا يوجد إلا عندهم أو نحو ذلك. ويجوز للمسلم أن يتطبب عند الكفار إذا احتاج إلى ذلك، وقد بوب البخاري في "الصحيح": باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، وروى في هذا الباب عن عبد الرحمن بن أبي بكر –رضي الله عنهما– قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل مُشْعانٌّ – مشعان: أي طويل[2]– بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **بَيعاً أم عطية**"،

[1] أخرجه: أبو داود (5152) ، والترمذي رقم (1944).عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وصححه العلامة الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب" (2574).

[2] هذا التفسير من شيخنا حفظه الله.

هذا الرجل مشرك جاء يسوق غنمه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "**بيعا أم عطية** -أوقال **أم هبة**-"، يعني أنأخذ منك شاة بيعا أم نأخذها هبة وعطية؟ "فقال : بل بيع" إذا أردتم أن تأخذوا شاة فبالبيع، فاشترى منه النبي صلى الله عليه وسلم شاة[1].

ولذا قال العلماء: تجوز معاملة الكفار، ويجوز البيع منهم والشراء إلا بما يستعين به الكفار على حرب المسلمين، لا يجوز أن يباع لهم! ما يستعين به الكفار على حرب المسلمين من سلاح وغيره فإنه لا يجوز أن يباع لهم. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامِل اليهود وكان يشتري من اليهود.

الضابط الثالث في المسألة: يجوز للمسلم أن يُظهر للكفار الولاية عند الضرورة مع اطمئنان القلب بضدها. يعني: يكون هذا في الظاهر فقط أما القلب فهو يبغضهم ولا يحبهم، وذلك لأن الله -عز وجل- أجاز لمن أكره على النطق بكلمة الكفر أن ينطق بها بشرط اطمئنان قلبه بالإيمان، كما قال الله عز وجل : {**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**} وقال

[1] متفق عليه: البُخَارِي:(2216) و(2618) و(5382). ومسلم (5414). من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما.

الله عز وجل:{ **لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**}.

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: "نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف وذلك في قوله: {**إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**}"[1].

وقال -رضي الله عنه-: "التقاة: التكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالإسلام"[2].

ويقول إمام المفسرين الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله عز وجل-: "**{إلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً}** -قال- إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، ولا تظهروا[3] لهم العداوة"، لكن قال: "ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر"[4]، يعني لا تقوموا بأعمال الكفر وإنما تُظهروا لهم الولاية في الظاهر مع اطمئنان القلب بالعداوة من جهة وعدم العمل بشعائر الكفر من جهة أخرى .

[1] "تفسير الطبري" (6/ 313- شاكر). رقم الأثر:(6825).

[2] "تفسير الطبري" (6/314)، رقم الأثر: (6829). غير أنه قال: "التكلم باللسان...".

[3] كذا قال شيخنا حفظه الله، وفي تفسير الطبري : " وتضمروا لهم العداوة". والله أعلم.

[4] "تفسير الطبري" (6/ 313- شاكر). مؤسسة الرسالة /الطبعة : الأولى ، 1420 هـ.

وقال ابن كثير –رحمه الله عز وجل–: "وقوله تعالى: **{إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }** –قال– أي: إلا من خاف في بعض البلدان و الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما قال[1] البخاري عن أبي الدرداء–رضي الله عنه– أنه قال: إنا لَنُكشِّرُ في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم"[2]، أي إنا لنضحك في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم، يقول: فيجوز للمسلم إذا اضطر أن يُظهر للكفار الولاية مع اطمئنان قلبه بالعداوة، وهذا أمر مهم جدا.

الضابط الرابع: –وهذا ضابط عام في مسائل كثيرة– أن من ثبت إسلامه بيقين لا يرتفع إلا بيقين، فإذا احتمل الأمرُ أن يكون كفرا أو أن يكون دون ذلك فإن الواجب حمله على عدم الكفر، لأن الأصل في المسلم الإسلام، بمعنى –يا إخوة– إذا كان الأمر مما يدخله التفصيل فمنه ما هو كفر ومنه ما هو دون ذلك كمسألة الولاء والمحبة فإن الواجب أن يُحمل على عدم الكفر إلا إذا ثبت الكفر، وهذه مسألة عامة، إذا كان الأمر مترددا بين أمرين، يَحتمل أن يكون كفرا ويحتمل أن يكون دون ذلك، فإن الواجب أن يُحمل على ما دون الكفر لأن الأصل في المسلم

[1] كذا قال الشيخ– حفظه الله– ، وفي تفسير ابن كثير: "كما حكاه البخاري".

[2] "تفسير ابن كثير" (30/2)– دار طيبة / ط : الثانية 1420هـ.

الإسلام، ولا يُنتقَل عن هذا إلا بيقين، إذا انتفى الإحتمال؛ وهذه القاعدة وهذا الضابط له أصول كثيرة وشواهد كثيرة والمقام الآن لا يُسعفنا بالتفصيل فيها.

هذا أهم ما أردت أن أذكره باختصار في هذا الباب، وسنفصل ذلك إن شاء الله –عز وجل– في المحاضرة التي أشرنا إليها البارحة، نعم.

بسم الله، الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد : يقول المصنف -رحمة الله عليه-:**"والدليل قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.**

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين".

الشرح:

نعم، يقول الشيخ: "اعلم أرشدك الله لطاعته " وهذا من أسلوب الشيخ -ومن أساليب أهل العلم- وهو التصدير بالدعاء المشعر بالرفق والرحمة، وهذا هو الأصل أن تُشعر من تخاطبه بالرفق والرحمة.

يقول الشيخ: "اعلم أرشدك الله لطاعته " أي: هداك لما ينفعك في الدنيا والآخرة وللإستقامة على طريق الخير.

الرشد: هو الهداية لما ينفع في الدنيا والآخرة، فالشيخ يقول: "اعلم أرشدك الله لطاعته" أي: هداك لما ينفعك في الدنيا والآخرة وللاستقامة على طريق الحق.

اعلم "أن الحنيفية ملة إبراهيم "، "الحنيفية" مشتقة من الحَنَف وهو الميل، فالحنيفية -يا إخوة- هي المائلة عن الشرك قصدا إلى التوحيد، فمن مال عن الشرك قاصدا التوحيد فوحد الله وجانب الشرك فهو حنيفي، والحنيف هو المتباعد عن الشرك المحققُ للتوحيد المقبلُ على الله -سبحانه وتعالى- بالطاعات.

قال: "أن الحنيفية ملة إبراهيم"، الملة: هي الدين والطريقة والشريعة، أي أن طريقة إبراهيم -عليه السلام- الشرعية وشريعة إبراهيم -عليه السلام- التي جاء بها هي ما سيذكره الشيخ، نعم.

قال: " أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين ".

الشرح:

نعم، هذا خبر أنّ في قوله "أن الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله"، فهذا الخبر: "أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين"، ونلحظ هنا -يا إخوة- أن الأمر الذي ذكره الشيخ ليس خاصا بإبراهيم -عليه السلام- بل هذه ملة الأنبياء جميعا، فما من نبي إلا وهو يدعو إلى عبادة الله وحده، فلماذا خصّ الإمامُ -رحمه الله عز وجل- إبراهيم -عليه السلام-؟ لماذا خَص إبراهيم -عليه السلام- بالحنيفية مع أن الحنيفية هي دين الأنبياء جميعا -عليهم السلام-؟ لـمَ لم يقل الشيخ -مثلا-: "إن الحنيفية التي بُعث بها الرسل"؟ لماذا قال: "إن الحنيفية ملة إبراهيم -عليه السلام-"؟

نقول: إنه خصها بذلك اتباعا للقرآن، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله عز وجل- من أكثر الناس اتباعا للقرآن والسنة لفظا وأحكاما، فإن المتأمل في كتبه جميعها يجد أنه -رحمه الله عز وجل- يتتبع أساليب القرآن فيذكر حتى في كلامه أساليب القرآن والسنة، وكذلك في الأحكام، فهو -رحمه الله عز وجل- لا يخرج عن الأحكام الواردة في الكتاب والسنة والتي فهمها سلف الأمة. فالشيخ هنا خص إبراهيم -عليه السلام- بالذكر- اتباعا للقرآن حيث أمر الله -عز وجل- باتباعها

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فقال سبحانه: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}، فكأن الإمام –رحمه الله عز وجل– يقول: "اعلم يا عبد الله..يا مطيعا لله..يا متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الحنيفية ملة إبراهيم التي أمرك الله باتباعها هي أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، فتقومَ بعبادة الله وتكون مخلصا لله –عز وجل– في دينه".

والعبادة –يا إخوة– عند علمائنا لها معنيان:

معنى للفعل الذي هو التعبد، فتطلَق العبادة بمعنى الفعل الذي هو التعبد.

والمعنى الآخر للمتعَبَّد به.

فتطلق العبادة على التعبد وتطلق على المتعبَّد به.

أما المعنى الأول –وهو إطلاق العبادة على معنى الفعل، على معنى التعبد– فيقول العلماء: "العبادة هي التذلل لله تعالى بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه المشروع"، يعني: أن العبادة –التي هي التعبد– هي التقرب إلى الله –سبحانه وتعالى– بفعل أوامره واجتناب نواهيه على الوجه المشروع، والوجه المشروع: أن تكون مخلصا لله متبعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

فقولنا :"على الوجه المشروع" أي على وجه الإخلاص والمتابعة بالمحبة والتعظيم والذِّلة. فالعبادة –يا إخوة– لله لا بد فيها من المحبة، أن تتقرب إلى الله بفعل الأوامر وترك النواهي بالمحبة والذلة، فتتذلل لله –عز وجل– والتعظيم، وسيأتي بيان لهذا إن شاء الله عز وجل.

أما المعنى للعبادة الذي هو بمعنى المتعبَّد به، فالعبادة بهذا المعنى كما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– مستخلصا لذلك من كلام السلف: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

والمعنيان متلازمان، فالعبادة بمعنى التعبد هي التقرب إلى الله، بماذا؟ بكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وما الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها ؟ الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها هي ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وكان الإنسان فيها مخلصا لله سبحانه وتعالى.

قال:" مخلصا له الدين" والإخلاص –يا إخوة– هو: التنقية، فمعنى الإخلاص لله: تنقية العبادة من الشوائب بأن لا يقصد الإنسان بعبادته إلا وجه الله عز وجل، نعم.

قال -رحمة الله عليه- :" **وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}. ومعنى يعبدون: يوحدون** ".

الشرح:

نعم، "**وبذلك أمر الله جميع الناس**" ، و"الناس" لفظ يطلق على جميع بني آدم ، فكل الناس أمرهم الله -عز وجل- بعبادته وتوحيده .

وقول الشيخ "وبذلك أمر الله جميع الناس" يشمل كل إنسان من آدم -عليه السلام- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكلهم أمرهم الله -عز وجل- بعبادته وحده سبحانه.

"وخلقهم لها" أمرَهم بالعبادة وخلقهم من أجل التوحيد، فالله خلقنا من أجل أن نعبده وحده لا شريك له كما قال تعالى:{**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**}، والحكمة العظيمة من خلق الإنس والجن هي عبادة الله عز وجل.

والمقصود بالعبادة هنا -يا إخوة- العبادة الشرعية الأمرية، لأن العبادة -يا إخوة- في الشرع لها معنيان: معنى عبادة كونية ،وعبادة شرعية .

العبادة الكونية: هي خضوع الناس جميعا لله في قدره الجاري عليهم، وهذا لا يخرج عنه أحد، لكنه ليس المراد هنا، وإنما المراد في الآية **العبادة الشرعية** وهي التي تسمى بالأمر الشرعي.

فقال الشيخ: "معنى يعبدون أي: يوحدون" أي يعبدونني بأنواع العبادة موحدين لي في ذلك، فكل عبادة يفعلونها يوحدون الله -عز وجل- فيها، فلا يتقربون بها إلا لله تعالى، وهذا الذي تقتضيه الإضافة **{ليعبدون}** أي ليعبدوني، فهم يعبدون الله -عز وجل- بجميع أنواع العبادة موحدين له -سبحانه وتعالى- في ذلك، والله أمر الناس جميعا بعبادته كما قال الله عز وجل {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**}، وقال الله عز وجل {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ**}، وقال الله سبحانه وتعالى {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**}. فالأمر كما قال الشيخ، الله أمر جميع الناس بتوحيده وإفراده بالعبادة، نعم.

قال -رحمة الله عليه- :" **وأعظم ما أمر الله به: التوحيد** ".

الشرح:

تم التحميل من شبكة الإمام الآجري العلمية http://www.ajurry.com

نعم، الله –سبحانه وتعالى– أمر عباده بأوامر كثيرة لكنّ أعظم ما أمر به هو التوحيد ولذا كانت الرسل تبدأ به، وكان رسل الرسل يبدؤون به، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر رسله إلى الناس في الأقطار أن يبدؤوا بالتوحيد.

والتوحيد في اللغة: مصدر وحّد يوحد الشيء، أي جعل الشيء واحدا وأفرده فجعله فردا، تقول العرب: وحده أي أفرده وجعله فردا.

أما في اصطلاح علماء الإسلام، ونعني هنا بعلماء الإسلام :علماء السنة [3/ب]